رواية

خيوط ناعمة

علياء عصام دويدار

خيوط ناعمة

"ولنا مع من نحب حياة"

بقلم /علياء عصام دويدار

إهداء

إليك أيها الرجل العظيم، إلى روحك الطاهرة، كم كنت أتمنى أن تكون معي الآن، تقرأ ما أخطه بقلمي، أستمع إلى آرائك، أرى تعابير وجهك، لكن من يستطيع أن يقف بوجه القدر؟ ولكني أشعر بك الآن حولي تحثني أن أستمر أن أخوض التجارب أن أسعى لتحقيق أحلامي إليك جدي الراقد طويلا

{يحيى الجابري}

كعرائس الماريونيت تحركنا
خيوط القدر كما تشاء كلا منا
على خطاه يسير.....

{الفصل الاول}

هي خيوط ناعمة تربطنا بعضنا ببعض نتلاقى عند نهاية طرفها فاحذر أن تشد الخيط بكل قوة حتى لا تضيع بمنتصف الطريق

صوت انفجار عنيف على الطريق وتصاعد النيران نتيجة انقلاب تلك السيارة قليل من الوقت وكانت سيارات الشرطة والإسعاف تملأ المكان

***

هل شعرت يوما أنك فقدت كل شيء لم يعد لديك سبب تستمر في الحياة لأجله هذا هو شعورها الآن وحيدة ضائعة خائفة

ليلى الأسيوطي الابنة الوحيدة لعاصم الأسيوطي وزوجته غاده تبلغ من العمر١٩ عاما متوسطة الطول ذات شعر أسود طويل وبشرة بيضاء وعيون عسلية

تجلس في العزاء مصدومة تائهة حتى أنها لم تشعر بهذا السائل الدافئ على وجنتيها منذ تلقت خبر موتهم نتيجة انقلاب السيارة وهي ساكنة كالتمثال تنتظر أن يأتي أحد يخبرها أن كل ذلك حلم، لا لا بل كابوس وسوف تستيقظ منه على صوت والدتها كما اعتادت على ذلك.

على الجانب الآخر يقف يأخذ العزاء مطأطئ الرأس حزنا على أخيه!!

عزيز أخ غير شقيق لعاصم من الأب فقط رجل في اوائل العقد الخامس من العمر أسمر طويل القامة ذو عينين حادتين كعيون الصقر شعر قصير تتخلله بعض الخصل الرمادية

يقف بجانبه ابنه كريم شاب أسمر طويل نسبيا ذو جسد ملائم غير ممتلئ عينين بنيَّتين وشعر أسود.

دقائق وتوقفت سيارة سوداء أمام العزاء هبط منها هذا الرجل ذو المقام الرفيع المستشار السابق كمال عمران أعز صديق لدى عاصم رجل في أوائل العقد السادس من العمر على الرغم من كبر السن ولكن ذلك لم يمنعه من الاحتفاظ بجسده الرياضي وقامته الطويلة ربما لم يتغير شيء سوى تلك الخصل رماديه اللون التي غزت شعره وبعض التجاعيد التي ملأت وجهه وعينيه السوداء التي كساها الحزن على صديقه وأخيه ورفيق دربه.

تقدم نحو العزاء يبدو عليه الارهاق من كثرة الألم على فراق أعز إنسان لديه لم يكن يتصور حتى في أحلامه أن تنتهي حياة صديقة هذه النهاية المأساوية.

مر الوقت..... وانتهى العزاء رحل الجميع واتجه كمال إلى ليلى لم يتغير حالها ما زالت كما هي تائهة تنظر أمامها بشرود، عيناها بركان من الدموع لا يتوقف، أخذها بين أحضانه ظل يمسح على شعرها بحنان أبوي

لبعض الوقت حتى أخبرها: عارف قد ايه انتي موجوعة دلوقتي .....بس انا عايزك تتأكدي من حاجة مهمة انتي اذا فقدتي أب فإنتي لسه عندك التاني .... أنا أبوكي يا ليلى وبقولك انتى لازم تكوني قوية مش بقولك انسيهم او ما تزعليش أبدا .....صرخي وعيطي وطلعي كل الي جواكي لحد ما تهدي بس بعد كدة لازم ترجعي تاني تكملي حياتك وترجعي ليلى البنت الجميلة اللي بتحب الحياة واكيد هيكونوا مبسوطين وهما شايفينك سعيدة وأنا دايما جانبك مش هسيبك أبدا اوعدينى يا ليلى

قال جملته الأخيرة وهو ينظر إلى عينيها الممتلئة بالدموع أما هي فلم تقدر على الحديث، انهمرت في البكاء والنحيب داخل أحضانه أخرجت كل ما بداخلها من وجع وألم على فراقهم اكتفى هو باحتوائها داخل ذراعيه.

بالخارج رحل الجميع بعد انتهاء العزاء

: خلاص العزاء خلص والكل مشي... امال فين كمال؟

قالها عزيز موجها حديثه لكريم

: جوا مع ليلى

قالها كريم بإرهاق من هذا اليوم الشاق على الجميع

: طب تعالى ندخلهم

اتجه الاثنان للداخل ما زال كمال يحتوي ليلى بين ضلوعه لتتركه وتقول بصوت مبحوح

: انا طالعه اوضتي

قالتها وصعدت لأعلى

: البنت حالتها صعبة اوى أنا خايف عليها

قالها كمال بقلق كيف ستتحمل تلك الصغيرة ألم هذا الفراق؟؟!!

: متخافش يا عمى احنا هنفضل جنبها مش هنسيبها أبدا ليلى اختي مش بس بنت عمي

: ربنا يخليكم لبعض يا ابني ..... صحيح انا ماشوفتش آخر تقارير النيابة وصلت لايه؟

: بيقولوا أن فرامل العربية اتفكت بس مفيش شبهة جنائية عشان كدة القضية اتقفلت

قالها عزيز لينظر له كمال بشك، صحيح أنه قد تقاعد عن العمل منذ فترة ليست بقصيرة لكن يبدو أن مهارته في كشف الحقائق لم تضمر بعد

: وانت مقتنع بالكلام ده؟!

: وايه اللي يخليني مش مقتنع؟!

قالها عزيز وهو ينظر إليه نفس النظرة في تحدي

: يعنى حكاية الفرامل اللي اتفكت فجأة دي مش مريحاني

: والله بقى ده شغل النيابة هي اللي بتحقق وهى قالت كدة لو مش مصدقني روح اتأكد من التحقيقات بنفسك

استمرت حرب الأعين بينهم لثواني حتى قطعها كمال

: تمام هتأكد بنفسي

قالها ثم انصرف

***

مر أكثر من شهر على تلك الأحداث ولم يكف كمال عن البحث في القضية لكن دون فائدة وهذا ما أثار غضبه لا يقتنع بكل تلك الأوراق والتحريات هناك حلقه مفقودة في الأمر ما أسعده حقا أن ليلى بدأت تتحسن تدريجيا وبدأت في تخطي حاله الحزن

بأحد الليالي وبالفيلا الخاصة بوالد ليلى يجلس عزيز في غرفة المكتب وامامه أحد رجاله المخلصين يقف أمامه برأسه الصلعاء وبدلته السوداء التي تبرز عضلاته الضخمة ووجهه المخيف الذي يجبرك على الهروب إذا مررت بجانبه يميزه تلك الندبة في خده الأيسر تلك التي تكمل هيئته المخيفة

وضع عزيز حقيبة سوداء بها مبلغ لا يستهان به من المال أمام حاتم

: ده المبلغ اللي اتفقنا عليه يا حاتم

: انت تؤمرني يا عزيز بيه

قالها حاتم وعيناه تلمع بجشع على تلك الحقيبة بينما التقط عزيز علبة السجائر الخاصة به وأخرج واحدة ثم أشعلها واستنشق دخانها وأخرجه دفعة واحدة تبعها تحذير شديد

: انا مش عايز حد يشم خبر عن الموضوع وإلا رقبتك هتكون التمن

تحسس حاتم عنقه بطريقة لا إرادية

: اطمن يا عزيز بيه الحكومة نفسها قالت إن الحادثة كانت قضاء وقدر

: كدا مهمتك الأولى خلصت نيجي بقى للمهمة التانية

: متقلقش يا باشا الحادثة هتبان أنها انتحار بالظبط بس .....

: بس ايه ؟!

: قصدي يعنى مش ممكن كدا حد يشك في الموضوع يعني البيه والهانم يموتوا بعدها بشهر بنتهم تحصلهم

ابتسم عزيز ببرود وأراح ظهره على الكرسي

: ولا ملفت ولا حاجة الأب والأم ماتوا في حادثة عربية وبنتهم المسكينة متقدرش تعيش من غيرهم مقدرتش تستحمل فراقهم قامت انتحرت

: بس متآخذنيش في السؤال يا باشا انت هتستفيد ايه من كل ده!؟

نظر له عزيز بصرامة ليرتفع صوته بعدها بحدة

: ما تصحصح معايا كدا يا حاتم بعد موت أخويا ومراته انا الي بقيت الواصي على ليلى ولما هي تموت كل الي حواليك ده هيبقى ملكي مش جزء بس وكمان عايز كل حاجة تتم بسرعة قبل ما ليلى تبلغ سن الرشد وإلا كل خططي هتفشل وتاني مرة متدخلش في اللي مالكش فيه انت تنفذ اللي اقول عليه وبس، مفهوم؟

: لمؤاخذة يا باشا

كانا يتحدثان غير مدركين لمن تسمعهم في الخارج وهي مصدومة يا إلهي ما كل هذا الشر؟؟!!

هل حقد البشر وطمعهم يصل بهم إلى القتل دون ذرة رحمة؟؟!!

لقد التهم الجشع ضمير هذا الرجل حتى فقد قلبه أسمي معاني الحياة، يا إلهي! ماذا افعل؟؟

ظلت تفكر لثواني حتى وصلت إلى فكرة أنها يجب أن تخبر ليلى، نعم ستنبهها لتأخذ حذرها.

هكذا حدثت شروق نفسها واحدة من الفتيات اللاتي يعملن بالمنزل بنفس عمر ليلى بشعر قصير يصل إلى كتفها، بيضاء قصيرة القامة ذات عينين عسليتين صعدت إلى أعلي حيث غرفة ليلى وصلت إليها ففتحتها سريعا دون أن تطرق الباب

: الحقي يا هانم

انتفضت ليلى من على السرير بفزع حتى كادت صورة والديها التي كانت تنظر لها أن تسقط لولا انها لحقتها في اخر لحظة

: في ايه يا شروق خضتيني!؟

قالتها ليلى وهي تلتقط أنفاسها

: انتى لازم تهربي من هنا فورا

ظلت ليلى لثواني تستوعب ماذا قالت تلك الفتاه؟؟!!

: ايه الهبل اللي بتقوليه ده؟!

أغلقت شروق باب الغرفة حتى لا يستمع إليهم أحد

: يا هانم لو فضلتي هنا اكتر من كدة هيخلصوا عليكي

: انتى اتجننتي مين دول اللي يخلصوا عليا؟!

صرخت بها ليلى لتضع شروق يدها سريعا علي فمها

: هششششششش.... ابوس ايدك يا هانم متودينا‌ش في داهية اهدى وانا هفهمك كل حاجة

: تفهميني ايه ؟!

: الاول يا ست ليلى انتى بتثقي فيا ولا لا؟

نفخت ليلى بنفاذ صبر ثم عقدت ساعديها أمام صدرها وحركت رأسها بنعم

: يبقي لازم اقولك على اللي سمعته

قصت عليها كل ما سمعته في المكتب من حديث عزيز مع هذا المدعو حاتم ومع كل كلمة كانت تلقيها كان ينهار حصن من حصون ليلى كانت تعلم منذ زمن بأن عمها ليس بالشخص الجيد تماما، لكن أن تصل به الدرجة لقتل أخيه وزوجته دون ذرة رحمة دون أن يرمش له جفن أو يؤنبه ضمير دقيقة واحدة، وهل لمثل هذا الرجل ضمير؟! .....وماذا عن كريم هل هو متواطئ معه ؟.....لا لا كريم يختلف كثيرا عن أبيه كان لها دائما خير صديق وأكثر من أخ لم يتركها لحظة واحدة منذ حادثة والديها ظل جانبها حتى بدأت تتعافي تدريجيا أم إن هذا جزء من خطة وضعوها معا؟.... يا إلهي لم تعد تثق بأحد أبدا

: انتي بتقولي ايه؟!

قالتها بعدم استيعاب

: والله يا هانم ده الي سمعته بوداني دول تحت دلوقتي

: مش قادرة أصدق.... عمي هو السبب في موتهم ليه وعشان ايه شويه فلوس ملعون ابو الفلوس الي تلغي ضمير الناس

قالتها بنحيب من بين دموعها

: والله هو ده اللي سمعته ومصدقتش لما سمعت ده بيتفق مع الراجل اللي تحت ده انهم يخلصوا عليكي انتى مشفتيش الراجل اللي كان تحت معاه ده شكله عامل ازاي ده يرعب

: انا لازم ابلغ عنه لازم اسجنه

: وتفتكري هتعرفي تقفي في وشه لوحدك لازم حد يساعدك

: وتفتكري مين ممكن يقف معايا؟!

ظلت كل منهما تفكر لثواني حتى طرقعت بأصابعها دليلا على أنها قد وجدت الحل

: ايه رأيك تروحي لسيادة المستشار؟

: عمو كمال

: ايوا ده كان صاحب عاصم بيه من زمان و بيحبك زي بنته و أكيد هيساعدك و ياخد حقهم من رقبة عمك

اخذت تفكر هل يوجد أمامك حل اخر يا ليلى؟!

: الظاهر فعلا أن مفيش غير الحل ده

: يبقى يلا دلوقتي

: دلوقتي؟

: ايوا يلا مفيش وقت

: طيب.....طيب هخرج ازاى الدنيا ليل وأكيد عمى لو شافني هيسألنى رايحة فين

: سيبيها على الله وعليا انا هسيبك تلبسي بسرعة وهطلع بعد شويه آخدك وأهربك من باب المطبخ اللي ورا وانتى طوالى على بيت كمال بيه

قالت شروق جملتها وهبطت سريعا إلى أسفل لتتأكد أن عزيز ما زال في مكتبه دقائق وصعدت إلى غرفة ليلى فتجدها قد ارتدت ملابسها تيشرت أبيض ذو أكمام طويلة وبنطال من الجينز الأسود وحذاء رياضي و جمعت شعرها على هيئة ذيل حصان ووضعت هاتفها بجيب بناطلها

: يلا بسرعة انا هنزل الاول وانتي ورايا على طول

هبط الاثنان إلى أسفل كانت شروق في المقدمة حتى وصلت إلى آخر الدرج وتوجها سريعا الى باب المطبخ الخلفي

: ربنا معاكي و ابقي طمنيني عليكي

: انا مش هنسالك الموقف ده أبدا

: موقف ايه بس أي حد مكاني كان لازم يعمل كدا

أخذت ليلى تركض دون توقف ولم تلحظ تلك السيارة أمامها حتى صدمتها لتسقط فاقدة للوعي

{الفصل الثاني}

تضعنا الأقدار دائما في أمور لم تكن في الحسبان نشعر معها أننا فقدنا القدرة على التحكم في حياتنا ولكنها ربما تكون بوابه لحياة جديدة ومختلفة

كانت سيارة من الطراز القديم تبدو وكأنها خرجت للتو من فيلم تسعينات هبط منها سريعا رجل في العقد الخامس من العمر يبدو عليه البساطة يغذو الشيب رأسه هبطت معه زوجته سيدة عجوز نحت الزمن خطوطه على وجهها ببراعة

توجها معا سريعا نحو ليلى الملقاة أرضا فاقدة للوعي

: يا لهوى مين دى؟

قالتها راقية بخوف

: مش عارف استر يا رب دي طلعت منين؟

: طب هنعمل ايه دلوقتي أنا خايفة تكون ماتت

: فال الله ولا فالك لا يا شيخة فيها نفس

قالها وهو يضع إصبع سبابته أسفل أنفها ليشعر بأنفاسها

: طب يلا ناخدها على المستشفى بسرعة

: مستشفى ايه يا ولية انتى عايزه تودينا في داهيه في المستشفى هيحصل سين وجيم و هيسألوا مين دى و ايه اللي حصلها و مش بعيد نتحبس ..... ساد الصمت للحظات ليردف بعدها .... ساعديني نشيلها ونحطها في العربية ونوديها لدكتور فاروق يشوف حصلها ايه ونعرف هي مين

وضعوها معا داخل السيارة ولم ينتبه كلٌ منهما إلى هاتفها الملقى محطما توجها بها إلى حارة شعبية في أحد احياء مصر القديمة وأمام أحد العمايرالقديمة أوقف سيارته لتصدر صوتا يدل على أنها تحاول أن تصمد لآخر لحظة هبطا الاثنان وحاولا معا حمل ليلى التي ما زالت فاقدة للوعي حمدا الله أنهما يسكنان الطابق الثاني لا أكثر وصلا إلى الباب و طرقت راقية عدة طرقات و ما زال كل منهما يسند ليلى بيديه سمعا صوتا رقيقا من خلف الباب ثواني وفتحت لهم ابنتهم الصغرى ما إن فتحت ورأت والديها و معهم ليلى حتي فزعت

: ايه ده مين دى يا بابا؟!

قالتها فتون تلك السمراء صاحبة ال١٩عاما قصيرة القامة بشعر أسود طويل وعيون بنية

: وطي صوتك روحي بسرعة اندهي دكتور فاروق بسرعة يلا

ركضت سريعا إلى الشقة المقابلة لهم التي يمكث بها ذلك الطبيب البائس وحيدا!! طرقت الباب وما إن فتح وطلبت منه المساعدة حتى لبي النداء سريعا

عند عبد الله خرجت ابنتهم الكبرى حياة على صوت والديها لتتوقف فجاه

: ايه دا مين دي يا بابا؟!

قالتها حياة بفزع تلك الفتاه صاحبه ال٢٤عاما متوسطة القامة تميل عيونها للون العسلي

: دي واحده خبطناها و احنا جايين في الطريق ربنا يستر وميكونش حصلها حاجة

قالتها راقية بقلق ليدخل بعدها دكتور فاروق بصحبة فتون ألقى التحية عليهم سريعا

: الحقني يا دكتور البنت دي خبطناها واحنا جايين في الطريق خفت أروح بيها المستشفى ادخل في سين وجيم، وانت عارف أنا راجل غلبان شغال على قد حالي الحقني الله يباركلك

: اهدا اهدا يا حج إن شاء الله هتفوق وتكون إصابتها خفيفة

أحضر فاروق حقيبته تأكد من عدم وجود نزيف داخلي ثم حاول إفاقتها حتى بدأت تفتح عينيها تدريجيا اقترب الجميع منها في ترقب أمسكت ليلى رأسها بألم من إثر الحادثة

: حمدا لله على سلامتك يا بنتي أنا آسف والله ما شفتك

حاولت ليلى جاهدة فتح جفنيها تدريجيا وما زال ألم رأسها يداهمها

: أنتم مين؟

: أنا عمك عبد الله

: انا بعمل ايه هنا؟

: بصراحة احنا جبناكي هنا بعد ما خبطناكي بالعربية

: خبطتوني!!

نظر الجميع إلى بعضهم بقلق

هل ستثور عليهم الآن؟

هل ستبلغ عنهم؟

: انا آسف يا بنتي والله ما شفتك انتى الي ظهرتي قدامي فجأة

: .....انا .....انا مين؟

نظر الجميع لبعضهم بدهشة

: انتى مش عارفة انتى مين !؟

قالتها فتون باندهاش

: انا .. انا مش فاكره أي حاجة

توتر الجو حاولت ليلى أن تقف على قدمها لكنها لم تسعفها تشعر أن ألم رأسها يزداد فسقطت على الأريكة وأمسكت رأسها وبدأت في البكاء، اقتربت منها راقية ربتت على كتفها بحنان

: يا حبيبتي يا بنتي اهدى

اقترب منها دكتور فاروق يسألها بهدوء

: ايه آخر حاجة انتى فاكراها؟

: أنا مش فاكرة حاجه خالص مش فاكرة

قالتها من بين دموعها ليوضح هو للجميع

: واضح أن حصلها فقدان في الذاكرة

لتتعالي شهقات الجميع أخرجهم منها صوت عبدالله

: طب وايه العمل يا دكتور؟

اجابه فاروق بطريقة عملية

: مريض فقدان الذاكرة مع الوقت ممكن يفتكر أحداث ومواقف حصلت معاه قبل كدة حاولوا تساعدوها في دا إذا كان في أحداث معينة حاسة انها شافتها قبل كدة مواقف حاسة انها بتظهر قدامها مع الوقت

: طب لو مفتكرتش ايه العمل؟!

: خلينا منسبقش الأحداث و نشوف إذا كانت هتفتكر أو لا

: إن شاء الله، آسفين يا دكتور أزعجناك في وقت متأخر كدا

: لا أبدا لا إزعاج ولا حاجة

انصرف فاروق وعاد إلى صومعته مع أحزانه مرة أخرى تحت أنظار حياة وفتون التي جمعت بين الشفقة واللوم !!

اتجه عبد الله إلى ليلى التي ما زالت تبكي

: اهدى يا بنتي، عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

: كبدي يا بنتي ده انتى شكلك صغيرة

قالتها راقية بأسف

: انتى مش فاكرة أي حاجة خالص ولا حتى اسمك؟

سألتها حياة، لتهز ليلى رأسها بمعنى لا ووضعت وجهها بين كفيها

: ولا يهمك انتى هتقعدى معانا هنا لحد ما تفتكري ومش هنسيبك أبدا اعتبرينا عيلتك

قالها عبد الله محاولا طمأنتها نظرت له ليلى تائهة بماذا تجيب فهم عبد الله ما تفكر به

: انتى هتنورينا هنا وبعدين مش كفاية أننا السبب في اللي حصلك

قال جملته الأخيرة بخوف وترقب لردة فعلها

لم تبدِ أية ردة فعل التقط الجميع أنفاسهم اعتقدوا أنها ستثور تصرخ تلقي عليهم اللوم ولكنها لم تفعل

: يلا ادخلي ارتاحي وبكرة الصبح إن شاء الله نكمل كلامنا

: ايوا .....بس.....

: يلا...يلا ادخلي نامي وارتاحي وبكرة يحلها ربنا من عنده هي صحيح الأوضة مش قد المقام لكن تقضي الغرض

قالها عبد الله لتتوجه هي مع الفتاتين في صمت إلى غرفتهم للنوم حقا هو أكثر ما تحتاجه الآن لترتاح من ألم رأسها راحت ليلى سريعا في النوم على سرير حياة وتوجهت حياة للنوم بجانب فتون على السرير المقابل مر الوقت وبعد الفجر بقليل استيقظت الأختان بفزع على صوت صراخها اقتربتا إليها سريعا

: مالك مالك اهدى ده شكله كابوس!!

قالتها حياة وهي تحتضن ليلى بين ذراعيها وتربت على ظهرها محاولة تهدئتها

: استعيذي بالله ده كابوس

حاولت ليلى التقاط أنفاسها سريعا وأزاحت شعرها الذي التصق على وجهها نتيجة العرق الذي ملأ جبينها

: شفتي ايه؟

قالتها فتون بفضول

: ش....شفت عربية ماشيه في الطريق طويل و.....وضلمة وفجأة العربية ولعت والناس اللي فيها قعدت تصرخ وهي بتتحرق وصوتهم كان مرعب

: لا حول ولا قوه إلا بالله استغفري ربنا ده شكله كابوس اهدى يا حبيبتي ونامي دلوقتي

قالتها حياة

استقلت ليلى على السرير وما زال جسدها يرتعش حاولت العودة للنوم مرة أخرى بصعوبة بعد وقت طويل

***

حل الصباح علي الجميع ليستيقظ عزيز من نومه وهبط إلى أسفل

:شروق يا شروق

: ايوا ايوا يا عزيز بيه

: ليلى صحيت؟

: اا ....اااا

: في ايه ما تنطقي؟

: أصل ست ليلى مش فوق

: يعنى ايه مش فوق امال فين !؟

قالها وهو يعقد حاجبيه بتعجب

: أنا طلعت أصحيها الصبح ملاقتهاش ودورت عليها في أوضة عاصم بيه الله يرحمه يمكن تكون فيها بردو ملاقتهاش وفي البيت كله مش موجودة

: نعم يعنى ايه مش موجودة امال هتكون فين!

قالها بانفعال لتهز شروق كتفها بمعنى أنها لا تعرف

: غوري من وشي دوري تاني في كل حته في البيت اقلبيه كله لحد ما تلاقيها فاهمة

هرولت سريعا الي المطبخ لكنها وقفت خلف الباب لتسمع ما سيحدث

أخرج عزيز هاتفه ليتصل على ليلى أكثر من عشر مرات والنتيجة نفسها مغلق أو غير متاح ليتصل بعدها بكريم ليأتيه الرد سريعا

: كريم ليلى فين؟

: يعني ايه يا بابا ليلى فين!! .. أكيد في البيت

: ليلى مش في البيت كله

: امال راحت فين؟!

وصل عزيز إلى قمة غضبه

: مش عارف صحيت ملاقتهاش بس اكيد هعرف اقفل دلوقتي اقفل

أغلق الخط وهاتف حاتم الذي أجابه سريعا

: حاتم عايزك تقلبلي الدنيا على ليلى نص ساعة تكون قدامي فاهم

: ليه يا باشا هي مش في البيت؟!

: اللي اقول عليه يتنفذ فاهم قدامك نص ساعة تكون لاقيتها

قالها بصراخ ثم أغلق الخط بغضب واتجه حاتم سريعا لمهمة البحث عن ليلى

***

استيقظ الجميع بمنزل عبد الله فيما عدا ليلى أنهى هو فريضته وخرج ليجد الإفطار على الطاولة كان منزل عبد الله كمنزل أي رجل مصري بسيط مع عائلته الصغيرة يحمل بداخله ما هو أغلى من الشكل الخارجي الروح الطيبة والراحة النفسية الغريبة يتكون من غرفتين وحمام ومطبخ صغير وصالة يتوسطها مائدة مكونه من ست مقاعد

:هي صحيت يا بنات ؟

: لا يا بابا لسه دي شكلها تعبان أوى

قالتها فتون تعقبها حياة

: دي صحيت الفجر تصرخ و بتقول انها شافت كابوس و كانت مرعوبة اوي

: يا عيني عليكي يا بنتي ده حتى شكلك مش وش بهدلة ..... قالتها راقية ثم وجهت حديثها لزوجها .... هو يا حج لو مفتكرتش حاجة هنعمل ايه؟؟

: هتفضل معانا معززة مكرمة لحد ما تفتكر دى شكلها بنت ناس ومش حمل بهدلة يا راقية ومتنسيش اننا السبب في اللي حصلها

استيقظت هي وخرجت من الغرفة بحرج وتوتر لتجدهم مجتمعين حول طاولة الطعام توجهت إليهم بخجل شعر به عبد الله فحاول رفعه عنها

: تعالى يا بنتي اتفضلي

: نمتي كويس؟

سألتها راقية واكتفت ليلى بإماءة بسيطة بمعنى نعم و اتبعها سؤال عبدالله

: قوليلي يا بنتي لسه مش فاكره اي حاجة؟

: لا

قالتها بحزن ليردف هو

: ولا يهمك يا ستي انتى هتفضلى هنا معانا كأنك واحدة من بناتي بالظبط لحد ما ربنا يأذن وتفتكري

: بصي بقا يا ستي بما اننا قاعدين مع بعض فترة طويله اعرفك بنفسنا أنا حياة أخصائية تنميه بشريه والهبلة اللي

جنبك دى أختي فتون أكتر إنسانة فاشلة ممكن تقابليها في حياتك

قالتها حياة بمرح لتخفيف الجو ثم أخرجت لسانها لفتون لإغاظتها

: أنا فاشله شايف يا بابا وبعدين يا هانم متنسيش إنك بتتكلمي مع واحدة كلها أربع سنين وهتبقي أكبر إعلامية في مصر كلها وأطلع أنافس إعلاميين مصر كلهم

قالتها وهي ترفع أنفها عاليا بفخر

: ربنا يستر على الاعلام

: خلاص بقا انتى وهي .... ثم وجه حديثه لليلى.....أنا بقا يا ستي عمك عبد الله بشتغل نجار وورشتي تحت البيت ودي راقية مراتي اعتبريها زي والدتك بالظبط وأنا زي أبوكي لو مكانش يضايقك

: لا طبعا بالعكس ده شيء يشرفني

: طيب يا ستي بما إنك قاعدة معانا لازم نختارلك اسم عشان نناديكي بيه

قالتها حياة لتصرخ فتون فجأة بحماس

: انا اللي هختار

: ايه يا بنتي هتخلينا نقطع الخلف

: هنسميكي اسيا

***

طرقات على باب منزله كأن من بالخارج يحيي أحد الأفراح الشعبية اتجه كمال نحو الباب بغضب ليعرف من هذا الذي تجرأ أن يزعج المستشار كمال عمران، فتح الباب وكاد يصب غضبه على هذا الأحمق حتى تفاجأ بمن يقف أمامه اتسعت عيناه تناسى أي غضب كان يشعر به منذ قليل وارتسمت على وجهه جميع علامات الفرحة والحب وكأن روحه قد ردت إليه بعد فراق

: عمر ابنى!!

{الفصل الثالث}

كنت هاربا من الماضي الأليم حتى تفاجأت به أمامي يصفعني صفعات متتالية كي أواجهه ولأني لا أمتلك الشجاعة الكافية للمواجهة في النهاية خسرت التحدي

بعد العديد من المحاولات التي باءت بالفشل دخل حاتم بخيبة أمل

: قلبت الدنيا كلها عليها مش باين لها أي أثر

: يعنى ايه الأرض انشقت وبلعتها؟!!

قالها عزيز بحدة

: أهدى يا باشا اكيد هتظهر هتروح فين يعنى

: ها يا بابا عرفت راحت فين؟

قالها كريم وهو يدخل من الباب سريعا اكتفى عزيز بهز رأسه بمعنى لا

: طب سألت عمي كمال يمكن تكون راحت عنده

اتسعت عين عزيز ولعن نفسه ألف مرة أنه لم يفكر في هذا الأمر التقط هاتفة سريعا ليتصل به

***

ما إن رأى كمال ابنه حتى أخذه بين أحضانه لا يصدق أخيرا بعد فراق دام ست سنوات يراه الآن أمامه شاب طويل اكتسب جسدا رياضيا، عيناه العسليتان وشعره يذكر أنه كان أطول من ذلك أصبح الآن٢٦عاما

ظلوا على هذا الحال بين أحضان بعضهم عدة دقائق قطعها عمر بمرح

: احنا لو فضلنا كدا كتير قدام الباب الناس هتفهمنا غلط

تعالت ضحكات كمال وهو يقول

: مش مصدق إنك قدامي اخيرا كنت خايف اموت قبل ما اشوفك يا حبيبي ست سنين يا عمر هنت عليك كل المدة دي متنزلش مصر مرة واحدة أشوفك فيها

قالها كمال وهو يحاول حبس دموعه اتجها معا للداخل

: ايه يا بابا الي يشوفك كدة يقول انى مكنتش بكلمك كل يوم

: مش كفاية ..... وبعدين يا أستاذ انت ازاي متقوليش أنك جاي وطبعا جاي زيارة وراجع تاني واضح أن القعدة في المانيا عجبتك أوى

قالها وهو يغمز له بعينه اليسرى

: أولا حبيت أعملك مفاجأة، ثانيا لا يا سيدي أنا مشرف معاك هنا على طول

: بجد .....

كاد أن يصرخ من فرحته حتى قاطعه رنين الهاتف نظر إلى شاشته وعقد حاجبيه

: الو

: من فضلك يا سيادة المستشار ومن غير كلام كتير قول لليلى ترجع البيت حالا

: ترجع البيت!! ليه هي ليلى مش في البيت!؟

: يعني عايز تفهمني أنها مش عندك دلوقتي أو متعرفش مكانها

قالها عزيز بحدة

: أولا توطي صوتك وانت بتتكلم معايا ثانيا أنا مكلمتش ليلى من امبارح

أغلق عزيز الهاتف بغضب ومسح على شعره محاولا تهدئة نفسه

: في ايه يا بابا؟

: ليلى مش لاقينها

: ليلى دى مش تبقى بنت عمي عاصم صاحبك؟؟

: ايوه.... هتكون راحت فين دي؟! ..... انا لازم أروح اشوف ايه اللي حصل

قالها واتجه ليبدأ ارتداء ملابسه لينظر له عمر باندهاش

اما عند عزيز

: مش عنده؟

قالها كريم ليهز عزيز رأسه بعصبية بمعنى لا ثم تابع قائلا

: هي فاكرة ايه عشان أبوها وأمها ماتوا خلاص تدخل وتخرج على كيفها مبقلهاش كبير

أين ذهبت تلك الحمقاء؟؟

يقسم إذا رآها الآن سوف يقضي عليها بيديه لن يسمح لها أن تفسد خططه لا أحد يجرؤ على أن يقف بوجهي

ترى أيعقل أن تكون ذهبت إلى المقابر؟؟!!

كيف لم يفكر بذلك من قبل؟؟

ظهر أمامه بريق أمل لينظر إلى حاتم بحزم

: حاتم عايزك تروح بسرعة المقابر أكيد ليلى هناك تجيبها وتيجي فورا

انصاع حاتم لطلبه وذهب فورا مر حوالي ربع ساعة ليدخل بعدها كمال إلى الفيلا وهو غاضب

: ليلى فين يا عزيز؟؟

نفخ عزيز بضيق هل كان ينقصه هو الآخر ليجيبه كريم

: أهدى يا عمى خلاص عرفنا مكانها

***

تقف حياة بأحد جوانب المنزل يبدو عليها الضيق

جلست اسيا كما أطلقت عليها فتون أمام التلفاز

: فتون اشمعنا اسم اسيا الي اخترتيه ليا؟

صمتت لحظات ثم رفعت عينيها اتجاهها بابتسام

: عشان بحب الاسم ده

أقبلت عليهم حياة ويبدو عليها الغضب

: يا بنتي اتقلي شوية مش كدة

: فتون اخرسي خالص مش ناقصاكي.....بقولكم ايه انتم مش زهقانين؟

قالتها حياة لتجيبها فتون سريعا

: ايوا انا زهقت اوي لسه الجامعة فاضل عليها أسبوع يلا نخرج

: طب ما تروحي كدا زي الشاطر تقنعي بابا أننا نخرج

: لا يا ستي وانا مالي روحي انتى

: انتى اخر العنقود يعني الحب كله واصلا بابا مش بيرفضلك طلب

أخذت تفكر قليلا ثم ابتسمت بخبث

: امممممم..... طب سيبوها عليا وانا هتصرف

مالت حياة على أذن اسيا وهي تهمس

: ربنا يستر

****

دخل حاتم الي عزيز وهو يجر خيبة الأمل خلفه للمرة الثانية

: للأسف يا عزيز بيه ملاقتهاش

: يعني ايه هتكون راحت فين؟!

صرخ بها كمال

: احنا لازم نبلغ البوليس ليلى عمرها ما غابت عن البيت بالشكل ده أكيد حصلها حاجة

قالها كريم ليؤكد عزيز على كلامه

: ده اللي لازم يحصل

خرج الجميع متجهين إلى قسم الشرطة كل ذلك يحدث تحت أنظار شروق كانت تستمع لهم وهي مندهشة من ردة فعل كمال كأنه حقا لا يعرف مكان ليلى أقنعت نفسها أنه يفعل ذلك حتى لا ينكشف أمرهم

***

عند حلول الليل دخل كمال إلى منزله يبدو عليه الحزن والإرهاق اتجه إليه عمر سريعا

: ها يا بابا عرفتوا هي فين ؟

: لا دورنا عليها في كل مكان مفيش أثر

: شكل فيه حاجة معينة في دماغك؟

ظهرت ملامح الجدية على وجه كمال

: اختفاء ليلى ده مش طبيعي هتكون راحت فين كدا من غير ما تقول لحد؟

: قصدك أن حد خطفها

نظر له كمال بصمت وهو يفكر صراع كبير يدور برأسه العديد من الأفكار تتداخل ببعضها، شعر بصداع رهيب ليقف متجها إلى غرفته

: أنا داخل أنام حاسس بتعب جامد أوى

نظر له عمر بحزن وهو يتجه إلى غرفته حتى اختفى عن أنظاره

***

عاد عبد الله من ورشته وهو منهك ما إن دخل إلى المنزل حتى هبطت عليه فتون بوابل من القبلات والأحضان

فتون وما زالت معلقة برقبته

: بابا حبيبي وحشتني والله

باءت جميع محاولاته في إبعادها بالفشل

: يا بت يا مجنونة هتخنقيني

: اخس عليك يا عبده هو انا موحشتكش ولا ايه ده انا حتى آخر العنقود والسكر المعقود

قالتها فتون بحزن متصنع أتت راقية من المطبخ وهي تحمل أطباق الغذاء مع اسيا وحياة

: ابعدي عن ابوكي يا بت ده جاي تعبان وقولي من الآخر عايزه ايه؟

غمزت فتون لوالدتها

: حببتي يا روقة يا فاهمنى انت

جلس الجميع علي طاولة الطعام

: اخلصي وهاتي من الآخر عايزة ايه ؟

: بص يا برنس شايف البنية الغلبانة دي.. قالتها وهي تشاور على اسيا .... قاعدة محبوسة عندنا يرضيك تقول علينا بخلا ومش بنخرجها

مالت حياة على أذن اسيا

: برنس بتقول لبابا برنس ابقي قابليني لو وافق يودينا الكشك الي في آخر الشارع

: هاتي من الآخر يا فتون وقولي إنك عايزة تخرجي

: بالظبط كدا يا عبده والله مش انا لوحدي احنا كلنا زهقانين من القعدة دي وعايزين نخرج

وجه نظره إليهم لتنظر كل منهم في الجهة الأخرى مدعيات الغباء ليبتسم وهو يخبرهم

: ماشي أنا موافق بس بشرط هي ساعة واحدة وترجعوا على طول وأعرف هتروحوا فين

: الله عليك يا حبيب والديك هو ده البوب الكبير أنا كنت عارفة أنك هتجبر بخاطري ومش هتكسف تونة حبيبتك

هتفت بها فتون وهي تحتضنه ليبتسم ثم وجه نظرة لآسيا

: لسه يا بنتي مفتكرتيش حاجة ؟

تنهدت اسيا بهدوء وهي تحرك رأسها بمعنى لا

كادت حياة أن تتحدث إلا أنها توقفت عندما سمعت تأوه أبيها العالي وهو يمسك صدره من الألم نهضوا جميعا في قلق واتجهوا إليه

: مالك يا حج ؟!

صرخت بها راقية

: فتون روحي اندهي دكتور فاروق بسرعة

قالتها حياة وقبل أن تغادر تحدث عبد الله وهو يأخذ أنفاسه بسرعة

: لا لا يا بنتي خلاص أنا كويس الحمد لله دي نغزة بسيطة بتروح وتيجي

: لا يا بابا انت مش كويس دي مش أول مرة انت لازم تروح للدكتور

قالتها حياة بحدة

حاول عبدالله أن يرسم بسمة على وجهه يداري بها الألم الذي يشعر به

: حاضر يا ستي إن شاء الله هروح اوعي بقا انتى وهي سيبوني أروح ارتاح في أوضتي شويه قبل ما انزل الورشة تاني

ساعدته راقية في النهوض وليتجه إلى غرفته تحت أنظار التوتر والخوف من الجميع

***

مر اليوم وحل فجر يوم جديد استيقظ كمال ليجد عمر داخل المطبخ يعد الإفطار

: ايه د ايه الي صحاك بدري كدة!!

: انا على طول بصحى بدرى وعارف انك انت كمان بتصحي بدرى قلت احضرلنا الفطار احنا الاثنين

: طب يا سيدي سيب الي في ايدك ده واقعد نتكلم شوية انت وحشني اوي الفطار مش هيطير قولي قررت هتعمل ايه بعد ما رجعت

ابتسم عمر ليجلس أمامه ويخبره بحماس

: انا بعد ما خلصت جامعة وبقا عندي خبرة كويسة في إدارة الأعمال ناوي افتح شركة إعلانات هنا في مصر

: حلو اوي بس دي محتاجة ترتيبات وخطط كبيرة

: امال انا طول الفترة دي كنت بعمل ايه انا مظبط كل حاجة

: الله الله ده انت مخطط ومتكتك وانا ولا كأني موجود

: لا طبعا ده انت الخير والبركة انا خططت بس إنما التنفيذ لسه منفذتش وانا بقولك اهو قبل ما ابدأ أي حاجة

: وناوى تبدأ امتي؟

: النهارده هروح اشوف مكان واحد صاحبي قالي عليه ينفع موقع كويس للشركة لو عجبني إن شاء الله هبدأ أجهز فيه

: خالد صح؟

: اي نعم

: شوف على الرغم من أن الواد ده دمه تقيل بس بحبه

ابتسم عمر ليؤكد على كلام أبيه ثم أردف

: انت بقا يا بابا صاحي بدري ليه؟

أخرج كمال تنهيدة طويلة

: رايح القسم أشوف وصلوا لإيه

:طب ما هما لو وصلوا لحاجة هيتصلوا بيك

: لا أنا لازم اتابع معاهم بنفسي لحظة بلحظة .....عارف كان نفسي والدتك تكون موجودة معانا وتشوفك وانت ناجح

ربت عمر على كف والده

: ربنا يرحمها

: يارب

قطعهم رنين هاتف عمر ليبتسم ثم أجاب سريعا وهو يفتح مكبر الصوت

: يا ريتنا افتكرنا مليون جنيه

: وانا اقول عمال اكح ليه بطلوا تجيبوا سيرة الناس بقا

استمع إليه كمال ليجيبه

: بتقول حاجه يلا

: عمي حبيبي الي واحشني ده التليفون بيرعش من الفرحة

***

في أحد محاضرات التنمية البشرية تقف حياة وكانت على وشك الانتهاء حتى لمحته من بعيد يقف عند باب القاعة ينظر إليها ويبتسم أنهت المحاضرة سريعا وخرج الجميع أما هو فقد اتجه إليها، أخفت فرحتها برؤيته تقسم أن قلبها في تلك اللحظة كان يرقص لكنها تصنعت الغضب

: ممكن أعرف حضرتك جاي ليه؟؟

: جاي اقولك وحشتني مثلا

: لا واضح بدليل أنك كنت بترد على تليفوناتي

: مهو انتى لو تعرفي اللي حصل هتعزرينى

: مش عايزة اعرف

: كذابة

: انا مش كذابة

: لا كذابه وجدا كمان

: طب عن اذنك

: استني هنا خلاص يا ستي آسف

: كنت فين؟!

انكمش جبينه وظهر عليه علامات التعب

: أولا يا ستي حصل معايا مشاكل جامدة جدا في الشركة بسبب انى متابعتش الشغل الفترة اللي فاتت بعد موت عمي ثانيا ليلى بنت عمي اختفت ومش عارف راحت فين

: ليلى اختفت أزاي يعنى؟!

: مش عارف ليلى ملهاش صحاب أو قرايب غيرنا هتكون راحت فين انا خايف تكون عملت في نفسها حاجه

كاذبة أن أنكرت أنها في كثير من الأحيان لم تشعر بالغيرة من حديث كريم عن ليلى نعم هي لم تر ليلى من قبل ولكن مجرد حديثه عنها تتملكها غيرة لا تعرف سببها

: طب ما تبلغوا البوليس؟

: فكرك معملناش كده

: طب وموضوع الشغل بقا..... قولتلك قبل كدا ليه متشتغلش مع باباك وتريح نفسك مصر تشتغل لواحدك

: حياة قولتلك ألف مرة انا ماليش دعوة بشغل بابا أنا ليا شغلي الخاص وبديره بنفسي انا مش عيل صغير أول ما يكون فيه مشكلة أجري على ابويا عشان يحلهالى

قالها كريم بحدة لتشعر هي بالخجل مما تفوهت به لا يستطيع أحد إنكار ما حققه كريم من نجاح في العمل بمفرده عندما فتح شركة المحاسبة الخاصة به نظرت أرضا بخجل

: أنا آسفة مكانش قصدي

: طب بالنسبة للغدا اللي كنت جاي اعزمك عليه أكنسله؟

: قبل الغدا تعالى اسمعك حاجه جديده

:يادي الكمان إلي واكل عقلك

:تعالى بس دي بيتهوفن هتعجبك اوي

:الحمدلله أنه مات قبل ما يسمعك

:كان اطرش علي فكره

قالتها بمزاح ليبتسم الاثنان ويتجها معا إلى المخبي السري الخاص بهم!!

{الفصل الرابع}

على هذه الارض ما يستحق أن نعيش لأجله ربما تشعر في بعض الأوقات أنك لا تعنى شيئا لأحد ولا أحد يهتم لأمرك لكنك إذا أمعنت النظر ستجد أن هناك شخصا ما تعني له الكثير

يقف كمال بهيبته داخل قسم الشرطة يتابع آخر التطورات

: انا مش فاهم يعنى ايه لحد دلوقتي مفيش أخبار أنتم مش شايفين شغلكم ولا نايمين ولا ايه بالظبط؟

: كمال باشا احنا ملحقناش نعمل حاجة البلاغ لسه متقدم امبارح ازاى عايزنا نلاقيها النهاردة!؟

: انا ميهمنيش كل الكلام ده انا عايز آخر اليوم اكون عرفت هي فين فاهمني

قالها بحدة ليدب الرعب في أوصال هذا الضابط الشاب

: حاضر يا باشا اخر اليوم هيكون عندك خبر بمكانها

انصرف كمال للخارج واتجه إلى سيارته لينتبه لرنين هاتفه

:الو

:كمال بيه

: ايوا مين ؟؟

: انا شروق يا بيه الي بشتغل في فيلا عاصم بيه

: اه.. ايوا افتكرتك

: كنت عايزة اطمن على ست ليلى يا بيه هي كويسة؟ رنيت عليها كتير بس تليفونها مقفول

: شروق انتى متعرفيش أن ليلى مش لاقينها!؟

قالها باندهاش هل تمزح معي تلك الفتاه تعمل داخل منزل ليلى ولا تعلم باختفائها!!

: يا بيه أنا اللي مهربة ست ليلى وعارفة كل حاجة وعارفة إنها عندك

عقد حاجبيه بتعجب ما الذي تتفوه به هذه المختلة!!

هروب من؟؟

ليلى!!.... ولماذا تهرب؟؟

والأهم ممَّن تهرب!؟

ها هي الحلقة المفقودة وحلها مع تلك الفتاة

: شروق انتى فين دلوقتي؟

: انا في الشارع بتكلم بعيد عن البيت عشان محدش يسمعني

: عايز اشوفك حالا قدامي فاهمة حالا يعني ايه؟؟

: حاضر حاضر بس فين؟

أملاها العنوان لتتجه إليه فورا

***

يعمل الجميع داخل الشركة كخلية نحل يجلس عزيز داخل هذا المكتب الفخم أمامه طاولة الاجتماعات الكبيرة وعلى الجانب الأيسر تلك المكتبة الكبيرة التي امتلأت بمئات الكتب والأوراق أما الجانب الأيمن تلك النافذة الكبيرة التي تطل على الشارع الرئيسي كان يقف والشرار يتطاير من عينيه يحرق كل ما حوله يقف خلفه حاتم في جو يملؤه التوتر

: ليلى لو مظهرتش أنا هخسر كل حاجة مش ممكن بعد كل اللي خطط ليه يروح في ثانية مش هسمح أن ده يحصل أبدا ليلى لازم تظهر يا حاتم وبسرعة

قالها عزيز بغضب وجشع ثم أخرج علبة السجائر الخاصة به ليخرج واحدة يشعلها ويستنشق دخانها ويخرجه دفعة واحدة يخرج معها كل غضبه محاولة منه لتهدئة نفسه

: اهدا يا باشا انا ورجالتي بندور عليها والبوليس كمان وأكيد هتظهر يعنى هتروح فين هنلاقيها!!

: لازم تظهر وساعتها بقا أنا اللي هخلص عليها بنفسي وارتاح..... وقف ودار حول المكتب يتأمله بجشع وطمع

ليردف.....أخلص عليها وساعتها كل ده هيكون ملكي أنا.... أنا وبس

***

يقف عمر داخل ذلك المكان يبدو أنه مازال تحت الإنشاء يتأمل المكان حوله وبجانبه صديقه خالد

: المكان شكله حلو اوى

قالها عمر وهو يتأمل ذلك المكان بإعجاب

: لا وكمان مش هتاخد وقت على بال ما تجهز يا دوب تخلص الورق ونشوف حد يظبط الديكور والأجهزة وحكاية الموظفين سهلة إعلان على النت وتبقى خلصت يا معلم وتبقي صاحب شركة يا كبير

: حيلك حيلك يا عم احنا لسه واقفين بنقول يا هادى فجأة كدا اختارت الموظفين والديكور وخلتني صاحب شركة ده احنا لسه بنسمي الله

: اصلك متتصورش انا متحمس للموضوع قد ايه من ساعة ما كلمتني عنه اه وعلى فكرة أنا عينت نفسي المساعد بتاعك ودراعك اليمين .... لا لا بلاش اليمين أحسن دى طرشه ومش بتتفاهم خلينا الشمال

: طب ايه رأيك بقا أنك مالكش مكان عندي انت اخرك هتقف أمن على الباب ده لو وافقت كمان

: طب والمرتب هيبقى كام؟

: انا ايه اللي مصبرني عليك

: حبك ليا

ابتسم الاثنان واتجها معا إلى الخارج لإنهاء أوراق الموقع

***

علي إحدى الطاولات الجانبية في أحد الكافيهات الراقية يجلس كمال لم يتوقف عن هز قدمه اليسرى دليلا علي القلق والتوتر ينتظر تلك الفتاة عقله يرسم آلاف القصص تري ماذا ستخبره تلك الفتاه ؟؟.... دقائق وظهرت فتاة عند البوابة وتقدمت نحوه حسنا يبدو أنها هي

: كمال بيه

: ايوا

أشار لها بالجلوس طلب لها كوبا من العصير ولنفسه فنجانا من القهوة هذا حقا أكثر شيء يحتاجه الآن

: أنا عايز افهم الي قولتيه في التليفون ده معناه ايه؟!

عقدت شروق حاجبيها بعدم فهم يتحدث وكأنه حقا لا يعلم عنها شيئا

: يا بيه انت بتتكلم كأن ست ليلى محكتلكش حاجة!!

: ليلى مجتش عندي أصلا

قالها وهو يضرب الطاولة بقبضة يده بغضب يلفت أنظار كل من حوله ليسري الخوف في أوصال شروق ابتلعت

ريقها في خوف أخذ هو نفسا عميقا أخرجه على ثلاث مراحل محاولة منه لتهدئة نفسه

: شروق أنا عايزك تحكيلي كل حاجة بالتفصيل كده وبهدوء

هنا جاء النادل ووضع المشروبات أمامهم وانصرف لتقص عليه كل ما حدث ليلة هروب ليلى وسماعها لحديث عزيز كان يستمع لها والشرر يتطاير من عينيه كان يعلم نعم كان محقا عندما قال إن عزيز هذا شيطان بهيئة إنسان يتوقع منه أي شيء لكن ليلى أين هي الآن؟؟

ضغط كمال على قبضة يده بقوة وكز على أسنانه بغضب

: يا ويلك مني يا عزيز الكلب هتشوف العذاب ألوان على ايدي .....طب وليلى هتكون راحت فين!؟

: والله يا بيه أنا خرجتها من باب المطبخ الي ورا وهي جريت على طول على أساس أنها هتروحلك

قالتها وهي تبكي خوفا وحزنا على ما حدث صمت كمال قليلا يفكر ليتوصل في النهاية إلى خطة ما

: شروق اسمعيني كويس أنا عايزك دلوقتي حالا ترجعي القصر واوعي حد يعرف إنك قابلتيني والأهم عايزك تراقبيلى الكلب عزيز لحظة بلحظة كل حاجة بيعملها أي شخص بيقابله أي ورق مهم بيجيله كل حاجة بتحصل لازم أعرفها كأني عايش معاهم فهمتينى؟ والأهم من ده كله لو حسيتي بأي حاجة غريبة قوليلي فورا

: حاضر يا بيه هعمل كل الي أقدر عليه عشان خاطر ست ليلى ترجع بالسلامة

***

تسير الفتيات معا داخل ذلك المول الشهير أصرت حياة علي شراء ملابس جديدة لأسيا

: يا بنتي يلا بقا تعبتيني

: وانا صدعت منكم

: لا احنا مش بناخد رأيك احنا بنجبرك وهتجيبي غصب عنك

قالتها فتون

: قولت مش عايزة

: سيبك منها يا فتون تعالي احنا نجيبلها

اتجهت الفتاتان إلى داخل أحد المحلات وتركتا اسيا وحدها أمام المحل تضع يدها على جبينها بنفاذ صبر كادت أن تتجه معهما إلى الداخل لكنها اصطدمت بشخص ما وكادت أن تسقط لولا أنه لحقها سريعا لتهتف بغضب

: انت يا بني آدم مش تفتح

: انا بردو الي افتح ولا انتي ده انتي الي خبطتيني

: وانا اخبط فيك ليه إن شاء الله

صرخت بها اسيا بغيظ

: والله مش عارف اسألي نفسك بقا

فهمت ما يلمح له لتشهق من تلميحه الوقح كيف يجرؤ

: انت بني آدم وقح وقليل الأدب

كاد أن يرد عليها لولا مجيء خالد من الخلف

: في ايه يا عمر مين دي؟!

: انا عارف اهي بلاوي بتتحدف علينا

: احترم نفسك يا جدع انت فاهم ..... ايه بلاوي دى اما صحيح قليل الذوق

كور عمر قبضة يده وحاول أن يتمالك أعصابه من تلك الحمقاء حاول خالد تهدئة الموقف فوجه نظره لها

: خلاص يا جماعة بقا ... احنا آسفين يا آنسة وحصل خير

: انت هتتأسف لدي

كادت اسيا أن تثور عليه ولكن لحق خالد الموضوع للمرة الثانية

: خلاص بقا .....احنا آسفين مرة تانية يا آنسة ..... يلا عشان باباك مستنينا عن إذنك

توجه الاثنان إلى الخارج ولم تنته حرب الأعين بين عمر وآسيا

ظهرت فتون فجأة من خلف اسيا مما جعلها تشهق برعب

: شفتي جبنالك ايه

: عاااااا.... هتموتيني

ضحك الاثنتان ليقطعهما صوت حياة وهي تصرخ وتحمل هاتفها بيدها

: بابا

: في ايه يا حياة؟!

سألتها فتون بقلق لترد حياة وهي ترتعش بخوف

: ماما بتقولي إن بابا تعب ونقلوه المستشفى!!

***

تقف راقية تبكي أمام إحدى الغرف بذلك المستشفى الحكومي تنتظر خروج الطبيب ليطمئنها أقبل عليها الفتيات سريعا وهم يركضون بادرت فتون بسؤالها وهي تبكي بخوف

: ايه الي حصل يا ماما فهمينا!؟

: ابوكم فجأة بعد ما خلص شغل الورشة وطلع مفيش 5 دقائق كنت في المطبخ بحضر الغدا سمعته عمال يصرخ جريت عليه لاقيته ماسك صدره من الوجع أخدته وركبنا تاكسي وجينا على هنا على طول

كانت تتحدث من بين شهقاتها

: طب مفيش دكتور يطمنا؟

قالتها اسيا

: من ساعة ما جيت والدكتور معاه جوا ولسه مخرجش

قالت جملتها ليخرج بعدها الطبيب الشاب بمعطفه الأبيض وسماعته الطبية التفت الفتيات حوله بقلق بادرت حياة بالسؤال

: طمنا يا دكتور؟؟

عدل الشاب من وضع نظارته الطبية وقال بطريقة عملية

: واضح أن والدكم بقاله فترة بيعمل مجهود جامد مقدرش يتحمله وهو مش متعود عليه عشان كدا جاله ذبحة صدرية

شهق الجميع وبدأ الخوف على وجوههم وعادت راقية للبكاء مرة أخرى

: اهدوا بس الحكاية ممكن نلحقها قبل ما تتدهور أنا هكتبله على دوا وهيخرج معاكم لكن أنا بحزركم أي مجهود أو حركة زيادة هتتعبه أكتر أو لغبطة في مواعيد الدوا أنا مش مسئول ساعتها الحالة هتتدهور جامد

همست فتون بصوت لم يصل الي أحد غير والدتها

: فال الله ولا فالك يا شيخ ايه ده دكتور ولا جزار

نغزتها والدتها في كتفها كي تصمت ونظرت للشاب

: شكرا يا ابنى كتر خيرك

رحل الطبيب واتجه الجميع سريعا للاطمئنان عليه

***

داخل مكتبه الواسع والتي تميزه تلك المكتبة الكبيرة والتي تحتوي على مئات الكتب في مختلف المجالات أكثرهم في القانون يجلس على مكتبه أمامه مجموعة من الأوراق التي قام بالتخطيط عليها بطريقة عشوائية وكأنه يرتب لشيء يصب كل تركيزه عليها وفي رأسه مئات الأفكار والاحتمالات قطعه من تفكيره رنين هاتفه ما إن رأي الاسم حتى أجاب سريعا

: الو

: كمال بيه لاقيناها

{الفصل الخامس}

إذا كنت تعتقد أن الحياة قد أهدتك جميع مفاجآتها حسنا أنت لم تر شيئا بعد

هذا المكان الذي ينبع منه رائحة الموت يضم بين جدرانه جثثا لأشخاص كانوا بيننا يوما ما لا نعلم كيف عاشوا؟ وكيف ماتوا؟ يدخل كمال بقلب منقبض يقدم ساق ويؤخر الأخرى يدعو الله من كل قلبه ألا تكون تلك ليلى، داخله شعور لا يعلم سببه أنها لن تكون هي ويأمل أن يكون ذلك الشعور صحيحا

على العكس تماما كان عزيز يتمنى من كل قلبه أن تكون هي سيكون الحظ قد فتح أبوابه لديه وضرب عصفورين بحجر

الأول تخلص منها دون أي مجهود

الثاني سيصبح كل شيء بعدها ملكه وبين يديه

أقبل عليهم كريم وهو يلهث بشدة التقط أنفاسه بصعوبة

: بابا الي انا سمعته ده صح لقوا ليلى ميته؟!

: بس..... لا لا إن شاء الله مش هي أنا قلبي بيقولى أنها مش ليلى مستحيل تكون ليلى

قالها كمال بتردد وخوف بداخله صراع كبير

بين قلبه الذي يخبره أن من بالداخل ليست ليلى تلك الفتاه الصغيرة التي كان يحملها بين يديه يداعبها واعتبرها كابنته التي لم ينجبها

وعقله الذي يخبره إن لم تكن تلك ليلى إذا أين تكون وهو الذي لم يترك شبرا في المدينة إلا وبحث عنها به

: طب هما لاقوها ازاي؟

سأل كريم وهو يجاهد لمنع دموعه من أن تخونه وتسيل على وجنتيه ليجيب عليه والده وهو يتصنع الحزن

: بيقولوا لاقوا جثة مشوهة في مكان قريب من الفيلا وعلى الطريق لاقوا موبيل ليلى واقع على الارض شكوا أنها تكون هي مستنين الدكتور يخرج ونشوف هيقول ايه

ثواني وخرج الطبيب لتستعد آذان الجميع لسماعه

: بصراحة يا جماعة الجثة ملامحها مش واضحة أبدا وصعب التعرف عليها حتى لو في علامة مميزة في جسمها فا دي كمان مش هنقدر نتعرف عليها لأن الجثة مشوهة تماما إلا من خلال تعرفكم أنتم عليها تقدروا تقولوا إذا كانت هي ولا لا

هنا انهارت كل قوى كريم ولم يستطع التماسك حاول كمال طمأنته أو في الحقيقة كان يحاول طمأنة نفسه أكثر منه

: اهدا يا كريم إن شاء الله مش ليلى

: قررتم مين الي هيدخل؟

قالها الطبيب ليجيبه كمال وعزيز بنفس الوقت

: أنا

نظر كل منهم للآخر ليجيب عزيز بتحدي

: أعتقد يا كمال بيه ليلى بنت أخويا أنا وأعرفها وعشت معاها اكتر منك

: مستحيل أنا الي هدخل أنا متأكد إن الي جوا دى مش ليلى

لا يعلم من أين تأتيه كل تلك الثقة ربما من شدة تعلقه بها يشعر أنها على قيد الحياة ربما إخلاصه ووفاؤه لصديق عمره يجعله واثقا أنه لن يخذله وسيجد ابنته ويحميها!!

: خلاص طالما انت متأكد ان الي جوا مش ليلى سيبني انا كمان ادخل واطمن

: أهدوا يا جماعة تقدروا أنتم الاثنين تدخلوا

نظر كل منهم للآخر في تحدٍ واقترب كمال من عزيز وقال بصوت خافت لم يسمعه غير عزيز

: أنا عارف كويس أن حتى لو الي جوا مش ليلى وانت متأكد من كدا هتدخل وتقول إنها هي بس بردوا مش هخليك توصل للي انت بتخططله بقذارتك يا عزيز

: والله انا مش عارف انت تقصد ايه بكلامك ومش فاهم انت واخد مني موقف ليه ليلى دى تبقي بنت أخويا من لحمي ودمي وأخاف عليها اكتر منك

: وأوقات الي من لحمك ودمك ده مهما عملت معاه عمر ما يطمر فيه

أنهي جملته وذهب مع الطبيب لحقه عزيز وهو يكز على أسنانه غيظا اقترب الاثنان من الجثة التي لم يبدُ عليها أي أثر أو ملامح لم يتحمل كمال ذلك المنظر فخرج سريعا يلتقط أنفاسه بصعوبه ويضع يديه على قلبه محاولة منه لتهدئه ضرباته المتسارعة دقائق وخرج عزيز مع الطبيب الذي توجه بالسؤال الي كمال إذا كان يعاني من الضغط أو السكر ليهز رأسه سريعا بمعنى لا

: مش هي صح؟

سأل كريم بلهفة ليجيبه كمال

: مش عارف الملامح مش باينه بس دي مش ممكن تكون ليلى لا لا مستحيل قلبي بيقولى كدا

قالها كمال بإصرار

: بس أنا عندي احساس كبير أنها هي

التفت الجميع حوله وسأله كمال بحدة

: ازاى بقا عرفت إذا كانت الجثة مش واضحة أصلا!!

: طب وانت ايه الي حسسك أنها مش هي طالما زي ما بتقول الجثة مش واضحة؟ ...سبق قولتلك أن ليلى بنت أخويا واعرفها اكتر منك

: بس متمسكش في حكاية أنها بنت اخوك الي تعرفها وخايف عليها عشان ده شيء مشكوك فيه

: قصدك ايه؟

: اهدوا يا جماعة مالكم بس بصراحة يا كمال بيه أنا شايف أن استاذ عزيز هو أكتر واحد يعرف إذا كانت الي جوا دي ليلى أو لا بحكم أنه عمها ولو هي فعلا ليلى لازم نمشي في إجراءات الدفن بسرعة

قالها الطبيب لينظر عزيز في عين كمال بانتصار ليقف كمال أمامه لا يفصلهم سوا شبر واحد فقط ينظر كل منهما للآخر بتحدي وحرب أعين دائرة إذا خرجت للواقع لدمرت كل ما حولها

: على جثتي توصل للي انت عايزه يا عزيز

قالها كمال ورحل سريعا دون كلمة أخرى

***

يجلس عبد الله على سريره في المنزل بتعب يتناول الدواء من يد حياة يجلس الجميع حوله بإرهاق بعد يوم شاق ومرهق عليهم

: شفت يا بابا كام مره قولتلك تروح تكشف وانت بتعاند عجبك الي حصل؟

قالتها حياة بعتاب

: خلاص بقا يا حياة مش وقته الكلام ده يا بنتي سيبي ابوكي يرتاح

: حاضر يا ماما هسكت بس بعد ما يوعدني أنه هيرتاح في البيت أسبوعين ومش هينزل الورشة

: أسبوعين ايه يا حياة انا مقدرش على قعدة البيت اسبوعين ومين بقا هيصرف على البيت في الاسبوعين دول

: متشلش هم الموضوع ده أبدا

: قصدك ايه؟

: ايد على ايد تساعد يا بابا

: والله انا لسه عايش يا ست حياة وبصحتي لما أموت ابقي اصرفي انتي على البيت

: بعد الشر عليك يا بابا أنا مش قصدي كدا أبدا انت فهمت غلط

: حياة متقصدش يا عمي هي كل قصدها أنها تساعد لحد ما انت تقوم بالسلامة

قالتها اسيا بحكمة

: يا بابا انا بنتك من لحمك ودمك وانت كبرتني وعلمتني يعني ايه عيلة واحدة تقف جنب بعض وتساعد بعض في الحلوة والمرة مفيهاش حاجة لما حد فيهم يكون في زنقه والتاني يساعده

وجه عبد الله وجهه الصارم للناحية الأخرى وقال بلهجه لا تحتمل أى نقاش

: اقفلي على الموضوع ده يا حياة مش عايز أسمع فيه كلام تاني أنا إن شاء الله هبقى أجيب حد يساعدني في الورشة

: حاضر يا بابا ..... توجهت إليه وقبلت جبينه .....متزعلش مني

توجهت الفتيات للخارج

: عمي دماغه ناشفة اوي

: فعلا لما بيصمم على حاجه محدش يقدر يجادله أبدا

قالتها حياة

: يووووه

هتفت بها فتون بنفاذ صبر

: فيه ايه؟؟

سألتها حياة لتجيبها باقتضاب

: المكتب عندي مليان ورق مش عارفة اوديه فين

: ارميه في أي حتة

قالتها حياة بدون اهتمام

: طب حد فيكم عنده شويه دم يجي يساعدني

اتجهت اليها اسيا والتقطت بعض الأوراق لتقرأها لتتسع عينها فجأه بصدمة!!

***

دخل كمال منزله وعلامات الغضب جميعها ترسم خطوطها على وجهه اتجه مباشرة إلى غرفته دون أن يلتفت إلى نداءات عمر له

: بابا ...بابا

دخل كمال غرفته ظل يكسر كل شيء حوله كل ما تقابله يداه يفرغ شحنة الغضب بها انخلع قلب عمر عليه حاول فتح الباب أو كسره دون جدوى

: بابا.. بابا عشان خاطري افتح بابا ورحمة ماما عندك افتحلي الباب

: ليه ...لييييه ...اااااه

: بابا طب افتحلي ونتكلم في أي حاجة مضايقاك أرجوك

لم يتبقَ بالغرفة شبر واحد سليم ترك كمال لجسده العنان وسقط على الأرض بين بقايا الزجاج المهشم حوله في كل مكان، عرفت الدموع طريقها إلى خديه ولم يمنعها

: كل حاجة ضاعت أخويا وعشرة عمري اتقتل وبنته الي وعدته أني طول عمري أحميها محافظتش على الوعد ده والي قتلهم انتصر عليا

قالها بصوت خافت ولكنه وصل إلى مسامع عمر من خلف الباب

: متحملش نفسك ذنب ملكش دخل فيه ده قدر يا بابا وربنا كاتبه وانت عملت المستحيل عشان تلاقيها وكنت قالب الدنيا عليها ذنبك ايه في الي حصل؟!

: كان ممكن الحقها كان ممكن احميها منه

: وانت كنت تعرف منين أن كل ده هيحصل ... ليه تحمل نفسك ذنب ملكش دخل فيه ارجوك يا بابا افتحلي

اتجه كمال إلى الباب وما إن انفتح حتى ارتمى ابنه في أحضانه حقا كل منهم يحتاج إلى هذا العناق الآن

***

انتفضت كل من حياة وفتون على صوت اسيا

: افتكرت يا فتون افتكرت

قالتها بسعادة بادلتها إياها فتون

: بجد ازاي!!

: بصي الورق ده مكتوب فيه كلام بالألماني عرفت أقرأه وفهمته

: بس يا هبلة انتي

: هبله ليه بقا يا حياة!!

قالتها فتون بتعجب

: طبيعي أنها تفتكر ..... أنا هفهمكم ذاكرة الإنسان مقسومة نوعين ذاكرة تقريرية ودي الي بيتخزن فيها كل المعلومات بتاعة الشخص والي بيحصل فيها فقدان الذاكرة والثانية بقا ذاكرة مهاريه بيتخزن فيها كل المهارات الي الشخص بيتعلمها في حياته ومش بتتأثر بأي إصابه بتكون بس محتاجة تنشيط ودا الي حصلك دلوقتي انتي نشطي الذاكرة دي

: أنا مش فاهمة أي حاجة!!

قالتها اسيا لتوضح حياة ما تعنيه بطريقة أبسط

: نبسطها أكتر كلنا عندنا نوعين من الذاكرة: تقريرية ودي اللي بيتخزن فيها الاسم والسن والعنوان وكل البيانات بتاعتنا ودي الي حصلك فيها فقدان ذاكرة عشان كدا انتى مش فاكرة أي حاجة عنك، أما الذاكرة الثانية الي هي المهارية دى الي بيتخزن فيها أي مهارة الواحد اتعلمها زي مثلا كان بيعزف على آلة بيعرف يركب عجل وانتي عرفتي اللغة دي معنى كدة أنك كنتي متعلماها قبل كدة وممكن يكون فيه لغات تانية كمان بس محتاجة تنشيط للذاكرة دي

: يا خسارة أنا كنت فاكره نفسي خلاص افتكرت

: خسارة ليه زي ما افتكرتي اللغة دى ممكن تفتكري مع الوقت حاجات تانية كمان مع الوقت

قالتها فتون ثم اتجهن جميعا للنوم

***

مر أكثر من ثلاثة أشهر لم يحدث بهم أي جديد غير دفن جثة ليلى وإقامة عزاء لم يحضره كمال وافتتاح عمر لشركته

يجلس كريم منتظر حياة بأحد الكافيهات المطلة علي النيل ينظر أمامه شاردا منذ وفاة ليلى يشعر بفراغ كبير لقد فقد الأخت والصديقة معا وحدها فقط حياة من حاولت ملأ هذا الفراغ

يحبها نعم يحبها وبشدة أعلن قلبه استسلامه لحبها منذ زمن طويل والغريب أنه لم يعترف لها بذلك حتى الآن كان يتمنى أن تكون ليلى معه الآن ليخبرها أن أخاها قد وقع في حب هذه الحياة لتأتي هي من خلفه

: الله الله علي الناس الي عيونها زايغة

: بحاول أشوف يا ترى فيه واحدة أحلى منك ولا لا

: تيرااااارااااراااا ..... رفعت يدها كأنها تعزف على الكمان ليضحك هو عليها ..... كل بعقلي حلاوة وانا هعمل نفسي مصدقة

ليضحك هو ويشير النادل

: طبعا عصير المانجا المفضل صح

: طبعا

ليأتي النادل ويطلب لها مشروبها المفضل ولنفسه فنجان القهوة

: شكلك كنتي في مكانك السري

: عرفت منين!؟

: جاية مبسوطة يعني أكيد كنتي بتلعبي على الكمان

: متتصورش يا كريم أنا ببقي سعيدة قد ايه وانا بعزف بحس أنى حرة وكياني حر

كانت تتحدث بلمعة عين حقيقية لا أحد يعرف عنها تلك الهواية غيره هو حتي عندما تريد العزف تنتظر حتى تكون قاعة المحاضرات خالية تماما فتقوم بإخراج الآلة من مكتبها وتعزف حتى يسرقها الوقت دون أن تدري

: أنا مستغرب ليه محدش يعرف مع أنك بتعزفي حلو جدا؟!

: تعرف انت الوحيد الي يعرف الموضوع ده وانت الوحيد الي سمعتني وانا بعزف

: واشمعنا انا!؟

صمتت لثواني لا تعرف ماذا تجيب؟

هل تخبره أنها أرادت أن يشاركها كل لحظة بحياتها؟

حتى هذا السر الخاص بها تريده أن يشاركها إياه

تريده أن يسبح معها بين أمواج الألحان أن يسرح كل منهما مع اللحن بشكل غير الثاني

لاحظ صمتها هذا فلم يرِدْ أن يحرجها فحاول تغيير الموضوع

: قوليلي البنت الي عندكم افتكرت ولا لسه؟

: للأسف لسه مفيش أي جديد

: طب وأنتم هتسيبوها عندكم كدا على طول افرض مفتكرتش خالص؟!

: تصدق أننا اتعودنا عليها خلاص بقت واحدة مننا

: مش خايفين تكون نصابة؟

: حرام عليك دي بنت طيبة جدا

: طب ايه رأيك أنا ممكن اساعدها

: بجد ازاي!؟

: في دكتور مخ وأعصاب شاطر أوي ممكن أعرض عليه حالتها ويساعدنا

: والله فكرة خلاص شوف نقدر نروحله امتي وأنا هقولها

: اتفقنا

: قولي باباك استلم الشركة ولا لسه؟!

***

يجلس بأريحية على الكرسي بانتصار وبرود ودون ذرة شعور من تأنيب الضمير يتحدث بالهاتف ويريح ظهره على ذلك الكرسي

: ايوا طبعا دي صفقة العمر

: انا مش عايز غلطة

قالها الطرف الآخر بتحذير

: متنساش ان أي غلطة أنا اول واحد هيروح في الرجلين

: أنا عايزها تجهز في أقرب وقت

: اطمن هتجهز وأبلغك

اغلق الهاتف وابتسامته تملأ وجهه

: اخيرا اخيرا كل حاجه بقت ملكك يا عزيز مع السلامة يا ست ليلى

{الفصل السادس}

هي لحظه يتغير معها كل شيء بعدما كنت تعتقد أنك المتحكم في حياتك تكتشف أن القدر كان يتلاعب بك وأنت من يتبع الخطوات

طرقات على باب المكتب يعرف صاحبها جيدا

: تعالى يا حاتم

: كله تمام يا باشا كريم بيه طول الوقت في الشركة أو البيت أو بيقابل البنت دي مفيش أي جديد

: مش فاهم ايه حكاية البنت الي بيقابلها كل يوم دي..... اسمع يا حاتم أنا عايزك تفتح عينك كويس الفترة دي

: متقلقش يا باشا كله تحت السيطرة

: عملت الي قولتلك عليه؟

: وصل يا باشا

: بس اخر واحد ده تعبنا اوي

: مش مهم بعد كدا هو الي هيجري ورانا

***

تقف بنفاد صبر أمام أحد المدرجات تنتظر صديقتها الجديدة يارا تلك المختلة التي تنسي المواعيد دائما أتت من خلفها وهي تلتقط أنفاسها

: آسفه يا فتون بس لو تعرفي الي حصل هتعزريني

: نفس مبررات كل مرة وأنا أصدق في الآخر واقولك معلش

: خلاص بقا انا جيت اهو

: يلا ياختي نلحق المحاضرة

: طيب متزوقيش

علي الجانب الآخر يقف 3 شباب أصدقاء ليست صداقة بمعناها الحقيقي بل هي صداقة مبنية أكثرها على المصالح الشخصية المتبادلة

: شايفين الوجه الجديد الي واقف هناك ده

قالها ياسين وهو يوجه نظره لفتون بعينيه الخضراوين و قامته الطويلة وشعره البني الطويل المعقود للخلف على هيئة كعكة

: أنا مش فاهم امتي تبطل الحركات دي يا اخي!؟

قالها زين بنفور ذلك الفتى صاحب البشرة القمحية والعينين العسليتين والجسد المتناسق

: والنبي يا عم زين اطلع انت منها

: يا ابني ما البنات كتير اشمعنا دي؟!

: وانت متضايق ليه!؟

: انا مش متضايق بس البنت فعلا شكلها محترم مش من الأشكال الي تعرفهم

: كلهم بيكونوا كده في الأول وأول ما الصنارة تغمز خلاص

: عمرك ما هتتغير

: اقعد على جنب انت واتعلم.....ولا ايه يا مراد

: طبعا يا كبير

قالها مراد ذلك الفتي السمين

وهل يجرؤ مراد أن يعارض أحدا منهما في شيء هما دائما يأمران أما هو فعليه السمع والطاعة فقط

***

كان مكتب متوسط المساحة بذوق غربي يجلس عمر على المكتب يتابع بعض الأوراق باهتمام

: أخيرا يا عمر صفقة العمر

قالها خالد وهو يدخل فجأة كعادته دون أن يطرق الباب ليفزع عمر وتسقط منه بعض الأوراق

: انت يا زفت كام مرة قولتلك خبط قبل ما تدخل مرة كمان وقطع الخلف خالص

ابتسم خالد ابتسامة مستفزة أثارت حنق عمر أكثر

: من فرحتي ده خبر بمليون جنيه

: عارف يا خالد لو طلع خبر تافه من أخبارك هعمل فيك ايه؟

: لالا والله المرة دي بجد خبر هيخليك تتشل من الفرحة

: الملافظ سعد

: مش قصدي مش قصدي..... اسمع يا برنس شركة عربيات عالمية طالبة مننا نعمل إعلان للشركة

: احلف!!

قالها دون تصديق وهو ينهض من على الكرسي ويقف مقابلا له

: والله بعتوا ايميل ومستنين الرد بسرعة

: انت بتهزر ابعتلهم موافقين حالا

: هروح مكتبي وابعته دلوقتي

قالها وهو يتوجه سريعا إلى باب المكتب فتوقف فجأة وقد تذكر شيئا

: اه صحيح في كذا حد بكرا جايين عشان الانترفيو أخلى ال HR هي الي تقابلهم ولا تقابلهم انت؟

: لا انا مش فاضي خلي الHR هي الي تقابلهم بس هنبه عليها تعين حد يمنعك تدخل المكتب ده خالص

: يا ابني الشركة دي من غيرى ولا حاجة فوقوا

: بتقول حاجة؟

: بدعيلك يا حبيبي بالستر والصحة

قالها بمرح ليخرج بعدها سريعا

***

تجلس أمام التلفاز تغير قنواته بملل حتى أغلقته تماما

: اووووووف بجد زهقت كل يوم شبه الي قبله

: مالك يا بنتي بس!؟

قالتها راقية وهي تخرج من مطبخها

: زهقت الأيام كلها شبه بعضها طول النهار لوحدي فتون في الجامعة وحياة في الشغل عايزة أعمل أي حاجة

: طب عايزة ايه واحنا نعمله؟

: احم احم .....بصراحة كدا انا بفكر اشتغل

شهقة طويلة أصدرتها راقية وهي تضرب بيدها على صدرها

: يا لهوي يا بنتي واحنا قصرنا معاكي في حاجة؟

: بالعكس والله انا بس عايزة اشتغل عشان أكسر الملل ده زهقت من القعدة دي

: لا لا مش ممكن يا بنتي حتى لو انا وافقت عمك عبد الله مش ممكن أبدا سايق عليكي النبي اوعى تفتحي الموضوع ده قدامه لا يطيح فينا كلنا

كادت اسيا أن تتحدث لولا دخول حياة المفاجئ من الباب وهي تصرخ

: اسياااااا خبر بمليون جنيه

انتفضت كل منهم من دخولها المفاجئ هذا

: ايه يا بت يا حياة مالك داخلة زي المجانين كدة ليه!؟

: خلاص يا ماما شكل كدة اسيا مش مطولة معانا كتير

: ايه خلاص هموت

قالتها اسيا بتهكم

: لا يا ظريفة بس لقيت الحل الي يخليكي تفتكري

: وايه هو بقا يا ست حياة!؟

قالتها راقية بتعجب

: تدفعوا كام؟

: اخلصي يا بت بدل ما اجيب الشبشب

: خلاص يا ماما براحة مالك عنيفة كدا هقول اهو في دكتور مخ وأعصاب كبير اوي عرفته ممكن يساعدنا في حالتك نقدر نروحله

: تفتكري يا بنتي هيقدر يخليها تفتكر؟

: ده دكتور كبير اوي يا ماما

: ربنا يجعل الشفا على ايديه يا بنتي اما ادخل بقا أكمل الغدا

قالتها راقية واتجهت إلى المطبخ مرة أخرى

: مالك يا اسيا شكلك قلقان!!

: لا أبدا بس بفكر لو افتكرت والذاكرة رجعتلي هسيبكم وامشي وانا حبتكم اوي

: واحنا كمان حبناكي اوي وبعدين مين قالك إننا هنسيبك ده انتى هتلاقينا كلنا عندك كل يوم وافتكر فتون ممكن تروح تعيش معاكي أصلا وتريحنا منها

ابتسمت كل منهما

لكن ابتسامة كانت مليئة بالتوجس والخوف مما هو قادم!!

***

في المساء اتجه عمر إلى مكتب أبيه الذي أصبح لا يفارقه مؤخرا

: وبعدين يا بابا هتفضل كده لحد امتى؟!

: لحد ما الاقي ليلى

قالها كمال بإرهاق نتيجة السهر طوال الأيام السابقة

: حرام عليك نفسك ارضى بقا بالأمر الواقع كل حاجة حوالينا خلاص بتقول إن ليلى ماتت ماتت ومش هترجع تاني

: حتى لو كل حاجة حوالينا بتقول كده فا انا هثبت العكس

: يوووووه كفاية بقا يا بابا كفاية انسى ليلى وعمي عاصم ومراته خلاص ماتوا وانت حضرت عزاهم بنفسك والبوليس نفسه بيقول أنها ماتت مش معقول كل دول غلط وانت صح

قالها عمر بنفاذ صبر لم يعد يتحمل تلك الطريقة، أبوه يركض وراء سراب شخصية لم تعد موجودة أصبح يهمله ويهمل نفسه

بل نسي أن ابنه الوحيد قد عاد له مرة اخرى بعد غياب!!

: ايوا كلهم غلط ليلى عايشة .... عايشة وانا متأكد من ده

: وجالك منين بقا التأكيد ده!؟

قالها بسخرية ليقابلها صمت تام من أبيه

: بابا .....صمت .....طيب لما تخلص بقا كل الحوارات دي وتلاقي ليلى الي صحيت من الموت دي ابقي افتكر أن ليك ابن ليه حق عليك

قالها عمر بعتاب ثم انصرف

وقف كمال وهو ينظر لأثره بندم

نعم معه كل الحق انشغالي باختفائها أنساني فرحتي بعودته إليَّ مرة أخرى

ما العمل الآن؟؟

لم لا يفهمني أحد؟؟

يعتقدون أنني قد جننت ولكن أنا ..... أنا وحدي من يعرف الحقيقة، ليلى علي قيد الحياة ويجب أن تظهر مرة أخرى وصية صديق عمري الوحيد لن أكسرها أبدا

***

في المساء يجلس الجميع على طاولة الطعام والتوتر سيد الموقف ظل ينظر إليهم بتعجب

: في ايه مالكم؟

: اص...أصل يعني ....

: اتكلمي يا حياة في ايه؟ حاجة حصلت وانا مش موجود؟

: ولا حاجة يا حج ده كلام عيال

قالتها راقية سريعا

: بصراحة كدا يا عمي عايزين نفاتحك في موضوع وخايفين ترفض

: يبقي اكيد هرفض بس أحب اسمعه

: طب مش تعرف ايه هو

لم يجبها وعم الصمت لثواني لتردف هي

: بصراحة يعني أنا عايزه اشتغل

احتدت عيناه بغضب لينظر لها الجميع بعتاب

: تشتغلي؟؟

: يا عمي انا زهقت من قعدة البيت مش معقول هفضل قاعدة حاطه ايدي على خدي لحد ما افتكر

اخذ نفس عميق محاولا تهدئة نفسه

: طب خليني اتكلم معاكي بالعقل نفرض أنى وافقت أنهى مكان ده الي يوافق يشغلك من غير ورق أو إثبات شخصية

: نحاول يا بابا مش هنخسر حاجة

هتفت بها فتون بحماس لينظر لها بنصف عين

: والله انا شايفك متحمسة أوي للموضوع يا ست فتون مش بعيد تكونوا اخترتوا الشغل كمان

نظرت الفتيات الثلاث لبعضهن بخجل

: لا واضح أني بقيت آخر من يعلم في البيت ده

: ما تخليها تجرب يا اخويا يمكن صحيح لما تخرج وتتعامل مع الناس تفتكر

: انتى كمان يا راقية موافقة على الهبل ده!!

: يا بابا دي شركة كبيرة ومحترمة وطالبة موظفين جداد

قالتها فتون ليتنهد هو بنفاد صبر

: أدوني فرصة أفكر

: مينفعش يا عمي المقابلات من بكرا لازم .....

قاطعها بحدة

: قولت سيبوني أفكر أو هرفض خالص

نظرت الفتيات كل منهما إلى الأخرى بيأس وبدأوا في تناول الطعام

***

بشمس يوم جديد تجلس بمكتبها تتابع بعض الأوراق باهتمام عندما سمعت طرقات خفيفة على الباب تهللت أساريرها عندما رأته

: كريم!!

: صباح الخير

: صباح النور ايه ده مش المفروض تكون في شركتك

: منا قولت انتى أكيد غلبانة ولسه مفطرتيش أعدي عليكي نفطر سوا

: ابن حلال أنا هقع من الجوع

: طب خلصي بسرعة ويلا بينا

ما إن انتهت حتى اتجهوا معا إلى الخارج

: صحيح ابقي حدد معاد مع الدكتور الي قولت عليه

: وافقت هزت رأسها بإيجاب لتردف

: هي صحيح قلقانه وخايفة بس أنا أقنعتها

: خلاص يا ستي هرتب معاد واقولك

***

داخل مكتبه يتحدث عبر الهاتف باهتمام وأمامه بعض الأوراق

: انا قدامي الأوراق كلها اهو مش فاضل غير حاجات بسيطة أوي والصفقة تجهز

: مش محتاج افكرك يا عزيز أن المعاد لازم يكون سري جدا

قالها الطرف الآخر بتحذير شديد

: متقلقش كله هيبقى تمام

: طب والموضوع التاني؟؟

: لا ده سيبك منه خالص هيفضل يدور وفي الآخر هيزهق

: ولو طلع نفسه طويل هتعمل ايه؟؟

: مفيش حد معندوش نقطة ضعف ولا انت ايه رأيك

: فهمتك

لتتعالي ضحكات الاثنين في مكر

{الفصل السابع}

تفاجئنا الحياة دائما بأمور لم تكن في الحسبان منها ما يسعد ومنها ما يؤلم أيا كانت هذه الأمور فأنت مجبر على التعامل معها والأهم أن تتعلم منها

خطت أولي خطواتها داخل تلك الشركة في توتر للحظة ندمت على تلك الفكرة أين كان عقلك أيتها الحمقاء عندما اقترحت تلك الفكرة

اتجهت إلى الاستقبال ثم إلى مكتب صغير يضم العديد من الفتيات تحمل كل منهم بيدها ملف يحتوي على العديد من الأوراق وجهت نظرها إلى ملابسهم ثم إلى هذا الرداء البنفسجي الذي ترتديه

حسنا لقد علمت الآن نتيجة تلك المقابلة قبل أن تتم مطرودة بكل تأكيد تدعو الله سرا أن يتم طردها بطريقة رحيمة ظلت تنتظر قرابة الساعتين حتى جاء دورها اتجهت إلى تلك الغرفة الصغيرة لتقابلها تلك السيدة بابتسامة بسيطة أشارت إليها بالجلوس لتبدأ المقابلة

***

ظل يعمل منذ الصباح دون ملل هو وخالد الذي كان ينظر إلى ساعته كل خمس دقائق في ضيق

: يا ابني بقا حرام عليك انت معندكش اخوات

: اشتغل وانت ساكت

: يا مفتري يا ظالم انا بقالي خمس ساعات شغال ما كان ممكن تكمله بكرا أو تاخده معاك البيت

نظر إليه عمر في برود

: انت عارف إني مبحبش آجل أي شغل

: انت واحد ربنا كارمه بشوية صحة أنا راجل مسن صحتي على قدي يا اخي

: بقولك ايه انا مبحبش الزن كمل شغل

قطع حديثهم تلك الطرقات على باب المكتب

: في حاجة يا مدام أميرة؟

قالها خالد

: ايوا يا فندم في بنت من الي جايين يقدموا على الوظيفة بصراحة غريبة جدا

: غريبه ازاي يعني؟

: يعني جاية من غير أوراق أو حتى بطاقة

: طب خلاص مشيها

قالها عمر بعدم اهتمام

: عملت كده فعلا لكن هي رافضة ومصممة انها تشوف المدير

عقد حاجبيه ونظر لخالد باندهاش

: هتكون عايزة مني ايه دي!؟

: شوفها يمكن تكون محتاجة أي شغل

قالها خالد ليومئ له عمر بالموافقة

: خمس دقائق ودخليها

: حاضر يا فندم

قالتها وانصرفت ليستغل خالد تلك الفرصة

: الحمد لله أكيد دي إشارة إني امشي بقا وأكمل شغل في البيت

: لا يا حلو تكمله في مكتبك

نهض خالد وهو يتصنع البكاء متوجها إلى مكتبه

: ربنا على الظالم

: سمعتك

: أحسن

انصرف خالد ليسمع صوت الطرقات على باب المكتب، أذن لها بالدخول ما إن دخلت وتقابلت أعينهم حتى هتف كل منهم

: انت!!

: انتَ بتعمل ايه هنا؟!

: المفروض انا الي اسأل السؤال ده!!

: يعني ايه!؟

: يعني انتي في شركتي

اتسعت أعينها بصدمة

ماذا؟؟

شركته؟؟

كيف!!

يا إلهي حقا هذا اليوم ليس لي لعنت نفسها عدة مرات علي هذا الموقف المحرج

: يا آنسة أنا بكلمك

: ها

: عايزة تقابليني ليه!؟

: ولا حاجة ولا حاجة

قالتها سريعا لتركض خارج المكتب بل الشركة بأكملها ناداها عدة مرات دون جدوى فكر أن يلحق بها لكنه طرد تلك الفكرة سريعا ليقف مندهشا من تصرفها أخرجه من شروده ذلك الصوت

: انا خلصت كل الشغل اهو أروح انام بقا؟

***

تجلس مع يارا في ساحة الجامعة لتنتبه كل منهما لذلك الصوت

: صباح الخير

قالها ياسين وابتسامة بسيطة عرفت طريقها على وجهه

: صباح النور

: احم ... انا ابقي ياسين عزام معاكم هنا في الكلية بس الفرقة الأخيرة

: اهلا بيك

قالتها يارا بإعجاب

: أنا كنت بنظم رحلات وزيارات للطلبة هنا في الكلية وخصوصا الفرق الأولي وكنت منظم زيارة لمبني ماسبيرو لو حابين اكتب اسمكم معانا

نظر كل من الفتاتين لبعضهما بتردد

: طيب ممكن تدينا بس يومين نقرر فيهم

قالتها فتون ليقسم هو داخله أن صوتها الناعم ذلك جعله يزيد إصرارا على أن يوقعها في شباكه بأسرع وقت

: زي ما تحبوا أنا موجود في أي وقت عند مبني الكلية أول ما تقرروا بلغوني عن إذنكم

تركهما ورحل لتختلس كل منهما نظرة أخيرة له

أما هو رحل وعلى وجهه ابتسامة تحمل الكثير، حدث نفسه

(حسنا صغيرتي هذا مجرد طعم كل ما على الآن هو الصبر فهذا أهم ما يميز الصياد أيتها الفاتنة السمراء فتون حقا اسم على مسمى)

***

تجلس شاردة منذ أن جاءت

لماذا ركضت من أمامه؟؟

لمَ لم توضح له أمرها؟؟

ربما كانت تعمل الآن!!

: اسيا ..... اسياااااا..... يا بنتي روحتي فين ؟

: ها ... ايه يا حياة في حاجة؟

: لا ده انتى مش معانا خالص الي واخد عقلك؟!

: أبدا مفيش حاجة

: كل ده عشان رفضوا يشغلوكى يا ستي هو في أحلى من الأنتخة في البيت

: عندك حق

: طب استعدي بقا لبعد بكرا

قالتها حياة بحماس لتعقد اسيا حاجبيها بتساؤل

: انتى نسيتى ولا ايه هنروح للدكتور الي قولتلك عليه

: ما بلاش يا حياة

: عارفة إنك خايفة وحقك تخافي بس ممكن تقوليلي هتفضلي خايفة لحد امتي

انتفضت كل منهما على صوت راقية وهي تهتف بحدة

: الله الله قاعدين هنا تدردشوا وأنا محتاسة لوحدي في المطبخ

: هو بابا بردوا مصر يعزمه

: حياة عدي اليوم على خير هما كام ساعة وهيمشى

: أنا مش فاهمة بابا بيعمل كده ليه؟

: الي فات مات يا بنتي دي حكاية قديمة أوي فات عليها ياما

أصدرت حياة تنهيدة طويلة أخرجت معها ألما عميقا

: حاضر يا ماما الي تشوفوه

: ربنا يريح قلبك يا بنتي

***

يجلس بغرفته يشبك أنامله خلف رأسه شاردا في صاحبة الرداء البنفسجي كما أطلق عليها هو، لم ركضت من أمامه؟؟

ماذا كانت تريد منه يا ترى؟؟

علامة استفهام كبيرة حول تلك الفتاة، أخرجه من شروده تلك الطرقات على باب الغرفة دخل بعدها والده

: ممكن اتكلم معاك شويه؟

: طبعا يا بابا اتفضل

: انا عارف انك زعلان مني ..... بس صدقني غصب عني انت أكتر واحد عارف أنا كنت بحب عمك عاصم قد ايه وانه كان أكتر من أخ ومش قادر اقتنع أن بنته الي كنت معتبرها أمانة في رقبتي مقدرتش أحميها

: الي حصل حصل يا بابا خلاص ده أمر واقع ولازم نقبله

: مفيش حاجة اسمها أمر واقع الأمر الواقع ده احنا الي بنعمله مش الي بيتفرض علينا

نظر له عمر بتهكم ها قد عاد والده مرة أخرى للحديث نفسه ليتدارك هو الأمر سريعا ويردف

: خلاص خلاص ننسى كل الي فات ونبدأ صفحه جديدة..... قولي بقا هتصحى بكرا الساعة كام؟

: اشمعني يعنى؟!

: هروح معاك الشغل اشوف ابني صاحب شركة مسيطر ولا منيل الدنيا

انقض عمر عليه محتضنا إياه بحب لتتسع عيناه عندما رأي ما كان يخبئه والده خلف ظهره التقطه لتتجمع الدموع داخل عينيه بشوق

: عسلية!!

قالها عمر وهو يحاول جاهدا منع دموعه من ألم الفراق لا يعلم كم مر على ذلك الألم داخل قلبه حتى الآن أصبح يمل من العد يتذكرها كل ليلة عندما كانت تنتظره على باب المنزل وهو قادم من يوم دراسي شاق وتلك الحقيبة اللعينة الأكبر منه على ظهره تنتظره بابتسامتها العذبة وتلك الحلوى ليركض ناحيتها يحتضنها بحب ثم يحصل على مكافئته بتلك الحلوى ليأتي أصعب يوم مر عليه عندما جاء من مدرسته فلم يجدها بانتظاره ولم يجد مكافأته

: عارف انها وحشتك قولت افكرك بيها

: أنا ولا مرة نسيتها

: صدقني ولا أنا كمان دايما كنت بصبر نفسي بأنها اكيد حوالينا وسمعانا وعارفه قد ايه هي وحشتنا

احتضنه عمر بشوق ليضمه هو الآخر بحنان

: أنا بحبك اوي يا بابا

: وأنا كمان يا حبيبي

***

يلتف الجميع حول طاولة الطعام على رأسها عبد الله وعلى يساره يجلس دكتور فاروق بجانبه اسيا أما على يمينه كانت تجلس زوجته وبناته كان الصمت هو سيد الموقف ولا يخلو من بعض التوتر حتى قطعته راقية

: مش بتاكل ليه يا دكتور شكل الأكل مش عاجبك؟!

: أبدا والله تسلم ايدك ده الأكل يفتح النفس

قالها وهو يختلس النظر للجميع يعلم أن وجوده غير مرحب للبعض هنا

ويعلم أن معهم كل الحق في ذلك، لم لا يترك الماضي حاضرنا وشأنه يا الله؟!!

: تعرف يا دكتور فاروق احنا سميناها ايه؟

قالتها فتون وهي تشير إلى اسيا ليرد هو بفضول

: يا ترى ايه؟

: اسيا

قالتها بنبرة ذات معني لينظر لها الجميع بعتاب لقد فتحت بفعلتها هذه جروحا غائرة بقلب هذا الرجل وهي تعلم ذلك جيدا لقد ضغطت بكل برود على جراح حاول هو لسنوات أن يتعايش معها نظر لها والدها بحدة وعتاب

لماذا يا ابنتي لماذا؟؟ يكفي إلى هذا الحد

: سفرة دايمة يا جماعة عن اذنكم

قالها دكتور فاروق ثم رحل ثواني من الصمت هتف بعدها عبد الله بحدة

: مبسوطين خلاص كده ارتحتم

: كده يا فتون هو ده اللي اتفقنا عليه يا بنتي

: يا ماما أنا.....

لم تعلم بماذا تبرر فعلتها تلك ندمت؟؟

نعم لن تنكر ذلك

: انا مش فاهمة حاجة يا جماعة هو ايه الي بيحصل؟!

قالتها اسيا لينظر لها عبد الله باستياء

: الي حصل يا بنتي أن القدر أوقات بيحطنا في مواقف مش هيفيد بعدها ندم ولا هيرجع الي راح

اتجه هو الي منزله وقف ينظر إلى ذلك البرواز المعلق علي الحائط صورة الملاك الصغير أجمل شيء بحياته أعظم انتصاراته ولكن كل ذلك كان بالماضي فقدها بحماقته ويأسه وجُبنه، خذلها في أكثر الأوقات احتياجا له

إلى متي سيظل يتحمل نظرات اللوم بعيون الآخرين؟!

إلى متي سيظل يحمل ذنبها؟!

قاتل، جاني، مذنب نعم هو كل هؤلاء وأكثر

لو أن يعود الزمن إلى الوراء، لو أن تعطيه الحياة فرصة أخرى

لو!!!

***

يسير بجانب ابنه بفخر ينظر حوله بإعجاب

: حقيقي يا عمر أنا فخور بيك ربنا يكرمك يا ابنى

: بجد يا بابا عجبتك الشركة؟

: مش الشركة بس الشركة والنجاح الي حققته في الوقت القصير ده

: طب ادعي لي دعوتين حلوين بقا على آخر السنة أكون حققت الي عايز أوصله

قال جملته ثم استمع بعدها إلى صوت يأتي من الخلف يعرفه جيدا ومن غيره صاحب هذا الإزعاج

: الباشا الكبير الي مشرفنا وانا اقول الكهربا ملعلطة في المكان ليه

: اهو الواد البكاش ده هيكون أول أسباب فشلك

: عندك حق يا بابا والله انا بقول ارفده اهو حتي نوفر مصاريف

: ليه بس كده يا عموري ده انا حتي بنفع في وقت زنقة

: مية مرة يلا اقولك بلاش عموري دي في الشركة هيبتي هتبقي في الأرض قدام الموظفين

: كفاية رغى انتم الاثنين ودوني على المكتب عايز أريح تعبت من كتر الوقفة

امتثل الاثنان لطلبه واتجه ثلاثتهم معا إلى المكتب

***

يجلس يتابع تلك الملفات وأمامه تلك المطفأة الكريستال ممتلئة بالعديد من أعقاب السجائر يبدو أنه قضي الكثير من الوقت وهو يعمل

: حلو اوي يا حاتم والشغل تحت أخباره ايه؟

: لسه كنت مع الدكتور تحت وطمني

: تمام كده الدفعة الأولي قربت.. الخوف هيبقى من حاجة واحدة بس لازم نفتح عينا عليها اوي

: ايه هي يا باشا؟

: خليها لوقتها ..... المهم اجهز عشان قريب هخليك تراقب البنت دي..... هي كان اسمها ايه؟

: حياة يا باشا

{الفصل الثامن}

لقد تحمل قلبي الكثير حتى انصهرت شموعه وكاد يصرخ عاليا لم أعد قادرا على التحمل أكثر من ذلك

تجلس معهما في تلك الصالة الصغيرة أمام التلفاز وصل فضولها إلى ذروته

: لا انا بقا بصراحة الفضول هيموتنى عايزة أعرف ايه حكاية الدكتور ده؟!

نظرت كل منهما إلى الأخرى دون رد

: براحتكم أنا هروح اسأل عمو

قالتها وهي تنهض لتأخذ حياة نفسا عميقا أخرجت معه الكثير من الوجع ثم حسمت أمرها

: استني..... أنا هقولك

المشاهد تتجسد أمامها من جديد تجمعت دموع سنوات بعينيها لم تمنعها تلك المرة بل تركت لها العنان على وجنتيها وهي تسرد ما حدث بصوت مبحوح

: من زمان دكتور فاروق كان بيحب واحدة أبوها غني أوي وعشان هو فقير أبوها رفضه وطرده لما اتقدم لها ولأنهم كانوا بيحبوا بعض أوي أصرت عليه ووقفت قدام

أبوها عشان تتجوزه، وقتها أبوها قالها لو اتجوزتيه اعتبري ان أبوكي مات زي ما أنا هعتبر أن ماليش بنت وانها مش هتستحمل تعيش معاه شهر واحد في الفقر ده وهترجعله تاني وفعلا اتجوزوا وخلفوا كمان بنت زي القمر ...سموها اسيا

توقفت حياة عن الحديث وما زالت دموعها تعرف طريقها على وجنتيها

: وبعدين كملي

قالتها اسيا بفضول شديد

: عدت سنين واسيا كبرت واكتشف دكتور فاروق أن مراته عندها سرطان في الدم وفي مرحلة متأخرة كانت فترة صعبة أوي عليهم وفي يوم صحينا على صوت اسيا وهي بتصرخ عرفنا ساعتها أن مراته ماتت وهو من كتر حبه ليها مقدرش يستحمل الصدمة و حاول يهرب منها بأنه يشرب ويسهر ونسي اسيا خالص حتي شغله سابه ..... أوقات كتير كانت بتيجي تقعد معانا و تشتكي قد ايه هي حاسة إنها وحيدة وإنها خسرت ابوها وامها مرة واحدة .....في يوم جت وهي شكلها منهار وبتبكي قالت إن الشخص الي كانت بتحبه شافته وهو بيخونها ولما جت عشان تواجهه حاول يعتدي عليها لكن عرفت تهرب منه كانت منهارة وهي بتصرخ وبتقول هنتحر وانه مبقاش فيه سبب تعيش عشانه في الدنيا دي وأنها كرهت نفسها ساعتها افتكرنا أنها بتقول كده بس في ساعة غضب وأنها مش في وعيها اقنعناها انها تروح تتكلم مع باباها وترجعه

عن الحالة الي بقا عايش فيها بس الي عرفناه بعد كده انها لما راحت تتكلم معاه كان هو في عالم تاني ومش فاضي ليها كانت ازايز الخمرة في كل حتة لما دخلت عليه كان مش في وعيه وحاول يعتدي عليها هو كمان .....تقريبا كان فاكرها مراته الي ماتت لأنها كانت شبه مامتها أوي فضلت تصرخ و جريت على أوضتها حاول يكسر الباب لكن بسبب أنه كان سكران من التعب اغم عليه وتاني يوم صحينا لاقيناها انتحرت، قطعت شراييها من كترما يأست من الحياة

حالة من الصمت سيطرت على المكان لتردف حياة بعد دقائق

: ومن ساعتها ودكتور فاروق عايش زي أهل الكهف مبنسمعش عنه حاجة أو مش عايزين نسمع حاجة

: هو السبب في موتها

قالتها فتون بحدة من بين دموعها ليستمع الجميع بعدها لصوت عبد الله من الخلف

: نسيتى تقولي كمان أنه لحد دلوقتي عايش بعذاب ضميره افهموا فاروق أب مهما حصل هو أب هو أكتر واحد حزين ومقهور على الي حصل عمركم ما هتحسوا بالي هو عايش فيه غير لما تكونوا أمهات وتعرفوا قد ايه فراق الضنا ده غالي أوي يمكن انتى موجوعة عليها أه لكن هو مش بس موجوع ده عايش بالندم وعذاب الضمير ودول أصعب المشاعر الي ممكن تمر على أي إنسان يخلوه

جسد من غير روح متبقوش انتوا كمان قاسيين في الحكم عليه وتحكموا على واحد ماتت في قلبه كل المعاني الحلوة في الحياة.

: عندك حق يا عمي أنا هروح أقوله يجي يقعد معانا ونعتذر ليه عن الي حصل

أومأ لها عبد الله برأسه موافقا واتجهت الي الشقة المقابلة لهم طرقت عده طرقات دون فائدة حتى تسلل إلى أنفها رائحة غريبة

ما هذا؟؟

يا إلهي إنها رائحة غاز!!

لا لا، تتمني أن يكون ما دار برأسها غير صحيح

أخذت تصرخ وتضرب الباب بيدها بعنف دون فائدة أقبل عليها جميع من بالعمارة وعلى رأسهم عبد الله استطاع أحد الشباب كسر ذلك الباب ليتجه الجميع داخل الشقة بحثا عن هذا الدكتور البائس اتسعت أعينهم وتعالت شهقات بعض النساء عندما وجدوه مستلقا على أريكة الصالة بوجه شاحب فاقد للحياة

هل حقا اليأس يصل بالإنسان إلى درجة تجعله زاهدا في الحياة فاقدا للأمل فاقدا حتى إيمانه بربه فيقدم على الانتحار ويفقد دنياه وآخرته معا بلا تفكير؟!

***

يجلس بصحبة ابنه عمر وخالد صديقه داخل المطعم يتحدثان في العديد من المواضيع التي لم تخل من مزاحات خالد الطفولية من وقت لآخر قطع حديثهم رنين الهاتف الخاص بكمال تركهم واتجه إلى إحدى زوايا المطعم ليجيب بهدوء

: ها يا شروق ايه الاخبار عندك؟

: عزيز بيه جه من شويه ومعاه ورق شكله مهم دخله المكتب وطلع فوق وأنا صورته بسرعة

: ابعتيلي الصور دي فورا

أغلق معها الهاتف سريعا ثواني وأرسلت له العديد من الأوراق لم يتفاجأ كثيرا بل في الحقيقة كان يتوقع الأسوأ ومن يعلم؟ ما خفي قد يكون أعظم!!

عاد إلى الطاولة مرة أخرى ليسأله عمر

: مين يا بابا ؟

: أبدا واحد طالب مني خدمة

: واحد بردو يا شقي

قالها خالد وهو يغمز له بعينه اليسرى

: اخرس بدل ما أخليك تمسح أرضية المطعم قبل ما تمشي

: على فكرة يا عمر عمي شخصيته قوية جدا

: انت هتقولي أنا مسحت ٣ مطاعم قبل كده

***

أتي الليل خيم معه الحزن على الجميع بمنزل عبد الله

مشاعر مختلطة يصعب وصفها مزيج بين الحزن والندم واللوم

تري هل يعيد الزمن نفسه في الماضي لم يستطع أن يسعف ابنته من الموت لتدور السنين ولم يستطيع أحد أن يسعفه؟!

هل هذه سخرية القدر نتمنى دائما لو أن يعود الزمن إلى الوراء لكانت ..... لكانت ماذا؟؟

كنا سنكرر نفس الأخطاء ونفس الحماقات!!

انتهى اليوم، كان صعبا على الجميع ليتجهوا جميعا الي النوم في صمت كئيب مرعب

مر أسبوع على تلك الأحداث كان يحاول الجميع أن يتخطى ذلك الحزن الذي خيم عليهم ..... شرخ جديد بقلوبهم يضاف مع تلك الندوب التي ملأت روحهم

***

تقف مع اسيا بقاعة المحاضرات الخاصة بعملها فاليوم ستقابل الطبيب الذي أخبرها عنه كريم

: هتقعدى وسط الحضور هنا، هدي المحاضرة دي ونروح نستني كريم سوا

: حياة أنا متوترة أوي ما بلاش موضوع الدكتور ده

: تاني يا اسيا هنرجع نعيد نفس الكلام

: أصل جوايا إحساس بيقولي أن الي هفتكره مش هيبقى كويس

نظرت حياة الي ساعتها لتقول

: طيب نتكلم بعد المحاضرة عشان لازم ابدأ دلوقتي

جلست اسيا وسط الحاضرين تنظر لحياة التي ظهرت الآن أمامها تقف بكل ثقة وثبات كانت تتحدث بحماس تتحرك في جميع الأركان تجذب انتباه الجميع

: عشان كده لازم كل واحد يواجه الخوف الي جواه لو فضلت تهرب من الخوف ده طول عمرك هتبص تلاقي العمر بيجرى بيك وتيجي بعد سنين تبص على نفسك تكتشف أنك واقف مكانك محققتش أي حاجه من الي كنت بتحلم بيها بسبب خوفك خوفك بقا من الفشل من أنك تخوض مرحله جديده في حياتك أيا كان نوع خوفك المهم أنك تواجهه وتنتصر عليه

رفع أحد الحاضرين يده إلى أعلى فأشارت له حياة بالحديث

: طب افرضي ان الخوف الي جوايا ده سر خايف أطلعه لأنه لو طلع ممكن يأذيني أو يأذي حد بحبه أعمل ايه؟

: ممكن تكتب السر ده على ورقه حتى لو هتقطعها بعدها بس هتكون خرجته من جواك وقتها ممكن تحس براحة حتى لو بنسبه بسيطة

صمتت لثواني ثم جالت بخاطرها فكرة ما لتردف

: سؤالك ده جاب في بالي فكرة جديدة ممكن نجربها سوا إننا نوزع دلوقتي عليكم ورقة وقلم وكل واحد يكتب أي شيء ممكن يخطر على باله وطبعا ده مش إجباري خالص ده لو حابين تكتبوا وممكن كمان تكتبوا السر الي خايفين تقولوه حتى بينكم وبين نفسكم وهيكون طبعا من غير اسم وأنا هقرا الي هيتكتب

كانت تعلم أن تلك اللعبة لن تنجح بالطبع من سيملك الشجاعة الكافية ليكتب سرا عن حياته حبسه داخله لسنوات وكما توقعت فعدد الأوراق الذي تجمعت أمامها لا يتعدى العشر ورقات التقطت إحداهم وقرأتها أمامهم بصوت مسموع كما هو مكتوب

(عندي ضحكة غبية بتطلع لوحدها وأنا بتكلم ومبعرفش اتحكم فيها حتى لما بكون متعصب أو بتكلم جد)

ضحك بعض الحاضرين وبدأ الحماس لتلك اللعبة يظهر عليهم التقطت ورقه أخرى لتقرأها أيضا بصوت مسموع

(أنا عندي فوبيا الرهاب الاجتماعي وصوتي حلو بتمني يوصل للناس بس مش قادر أقف قدامهم وأبين موهبتي)

شعرت أن تلك اللعبة بدأت تأخذ مسار لم تتوقعه تملكها الفضول لتقرأ باقي الأوراق التقط سريعا ورقة أخرى ما إن فتحتها وقراتها حتى أصدرت ضحكه بسيطة شاركها معها الحاضرون حين قالت

(سرقت عربية بابا وخبطتها من غير ما يعرف)

حسنا على الأقل هناك أحد الأشخاص يمتلك سرا طريفا قالتها بداخلها وهي تلتقط ورقه أخرى

(نفسي أحب واتحب زي أصحابي يمكن المشكلة إني بتكسف اتكلم أو يمكن البنات مبتحبش تقرب مني عشان وزني الزايد مش عارف السبب)

رفعت حياة نظرها لوجوه الحاضرين رأت الأسف على وجوههم لذلك الشاب المسكين لن تنكر أن بداخلها كانت سعيدة بتفاعلهم لذلك التقطت ورقة أخرى

(بتمنى أعمل حادثة او عملية تجميل واتخلص من شكلي اللي بكرهه)

التقطت ورقة أخرى سريعا حقا قد بلغ الفضول مع الجميع الي ذروته

(أنا سورية وكان عمري ست سنين لما شفت مجموعة من السوريين بيعدموهم تحت البيت كان ممنوع إننا نشوفهم بس أنا شفتهم ومش قادرة أنسى هيدا المشهد لحد هلا وراح ضل أتذكره دائما)

اقشعر بدن الجميع ومعهم حياة التي لعنت نفسها بداخلها على اقتراح تلك اللعبة

التقطت آخر ورقه عقدت حاجبيها باندهاش عندما قرأت!!

(حاولت أكتب أي حاجة في الورقة بس مقدرتش الموضوع صعب آسف!!)

عقد جميع الحاضرين حاجبيه باندهاش يبدو أن صاحب تلك الورقة يخفي شيئا عظيما؟!

حسنا فلتنتهي تلك المحاضرة الآن يكفي هذا القدر من المشاعر والانفعالات اليوم بالفعل أنهتها وكان هناك سؤال واحد يدور بذهنها هل لو عاد بها الزمن لبضع دقائق كانت ستقترح تلك اللعبة مرة أخرى على الحاضرين؟!!

***

أمام إحدى القاعات تقف فتون تنتظر يارا ليراها هو من بعيد تقف بمفردها وينتهز الفرصة

: صباح الخير

قالها ياسين بابتسامته المعتادة

: صباح النور

: فاكراني مش كده؟

: ايوا وبصراحه كنت ناويه ادور عليك النهاردة واقولك إننا مش هنقدر نطلع الرحلة دي

أخفى ياسين انزعاجه يعلم أن تلك الفتاه تحتاج إلى بعض الصبر، كاد أن يفتح فاه ليتحدث ليتفاجأ برحيلها سريعا شعر بالكثير من الغيظ من تلك الفتاة لينتبه لكف أحدهم على كتفه

: كنت بتقولها ايه؟

: ابعد عني يا زين مش ناقصك

: منا قولتلك دي مش زي الي انت تعرفهم

: عجبتني .... دخلت دماغي ومش هسيبها

: مش هتعرف توصلها

: والي يوريك بعينك

: يعني ايه!؟

: هتشوف

قال كلمته ورحل تاركا زين في حالة من القلق والفضول!!

***

بذلك المكان المعتاد الذي تجلس به دائما مع كريم تجلس هي واسيا بانتظاره

: مالك؟!

قالتها اسيا

: محاضرة النهاردة كانت مختلفة

: فعلا الكلام الي كتبوه في الورق كان مؤثر اوي

: معرفش إذا كانت التجربة الي عملتها النهاردة دي صح أو غلط لكن مكنتش متوقعة أنهم يتفاعلوا معاها بالشكل ده

: طب سيبينا بقا من المحاضرة واعترفي عينك بتلمع ليه؟

: انا

: لا انا

: انتى بتقولي أي كلام على فكرة

: كدة طيب ادينا هنشوف بعد شويه..... حقيقي نفسي اشوف كريم بتاعك ده

لتتسع ابتسامة حياة وهي تقول بحماس

: اهو كريم جه

{الفصل التاسع}

هالات رمادية تتسع حولها أكثر وأكثر كلما تخطت واحدة وليتها الأخرى، كل ما حولها ضباب مزيج بين الأبيض الناصع والأسود الكاحل

اقترب منهم بخطوات واثقة حتى وصل إلى طاولتهم التفتت اسيا بوجهها إليه لتتقابل أعينهم معا

لحظه هي لحظة شعر معها أن كل شيء حوله يدور يا إلهي!!

أتلك إحدى علامات الساعة؟؟

شلت قدماه عن الحركة هل من شده حزنه على فراقها أصبح يتخيلها أمامه؟؟

حتى لو كانت جملة ((يخلق من الشبه أربعين)) حقيقة لن يصل الشبه إلى تلك الدرجة

ثواني مرت وهو يتطلع لها بصدمة كانت تلك الثواني بالنسبة لحياة كحد السكين بقلبها هل أعجب بها؟

هل أحبها؟

لم تؤمن يوما بجملة ((الحب من أول نظرة)) هل تحققت الآن أمامها؟ لم تتحمل أكثر أخرجته من شروده: كريم ....كريم

: هاا ...

: ايه يا كريم مالك واقف كدة ليه؟

: أبدا بس .... ولا حاجة

: اعرفك اسيا

نظر إليها بتمعن يا إلهي هي بكل تفاصيلها مد يده ليصافحها صافحته هي الأخرى بتوتر

: طب يلا بينا

قالتها حياة بحدة

: على فين؟

قالها كريم بعدم تركيز وهو يختلس نظرات إليها من وقت لآخر

: الدكتور يا كريم مالك؟!

قالتها بنفاد صبر، حقا قد طفح الكيل من نظراته تلك

: اه اسف شكلي مش مركز النهاردة يلا بينا

اتجهوا معا إلى الطبيب استغرق الكشف بعض الوقت بالداخل كان ذلك الوقت كافيا لأن تتحدث حياة مع كريم بمفردهما

: مالك؟!

: أبدا مفيش

: متأكد

: اه طبعا شوية إرهاق بس

: طيب

صمت ساد لثواني قطعه كريم بسؤاله المفاجئ لها

: هو باباكي لقي البنت دي فين؟

: معرفش بس ليه بتسال؟!

قطعهم خروج الطبيب يسمح لهم بالدخول ليسأله كريم بلهفه أثارت دهشة الجميع

: ها يا دكتور ممكن تفتكر؟

: أستاذ كريم أنا هجاوبك بصراحة الحالة الي قدامي بتقول إن مفيش عندها أي مشكلة بنسبة كبيرة الحالة اللي قدامي فاقدة الذاكرة بإرادتها هي

ظهرت الدهشة على وجوه الجميع

: معلش يا دكتور ممكن توضح أكتر

:المخ البشري يا كريم معقد جدا ممكن يكون الي حصل ليها ده حيلة دفاعيه من المخ عشان يحجب عنه ذكريات هو مش عايز يفتكرها ومع الوقت ممكن تفتكر لوحدها

: وده ممكن يحصل ازاي؟؟

: ممكن يحصل قدامها مواقف مشابهه لمواقف مرت عليها قبل كدة ده غير إني قولتلك لو هي بإرادتها عايزه تفتكر هتفتكر

: فهمتك يا دكتور شكرا جدا

صافح كريم الطبيب ثم اتجه ثلاثتهم للخارج لتنهار جميع محاولات اسيا في التماسك واستسلمت للبكاء بأحضان حياة

***

أصبحت تلك الصفقة وتلك الملفات هي كل ما يشغل اهتمامه بالفترة الأخيرة لن يسمح لأحد أن يفسد خططه حتى لو سيكلفه ذلك أعز ما يملك

: تمام أوى برافو عليك أهم حاجة التأكيد على المعاد أي تأخير الناس دي مبترحمش

قالها عزيز بتحذير ثم وضع السيجار بين شفتيه مرة أخرى يستنشق دخانها بتفكير

: أنا أكدت بنفسي على كل حاجة قبل ما اجي بس مش كتير المبلغ اللي اندفع ده يا باشا؟

قالها حاتم بثقة

: هو كتير بس اللي هيجي بعد كدة أكتر المهم تبدأ مهمتك من بكرا

: البت إياها؟

: عايزك تعرف عنها كل حاجة أي معلومة مهما كانت تافهة لازم أعرفها فاهم

: اعتبره حصل

قالها حاتم واتجه إلى الخارج سريعا لتركض شروق سريعا تختبئ خلف الحائط قبل أن يراها

***

يجلس بغرفته يحاول أن يرتاح ولو خمس دقائق فقط يخرج من عقله أي شيء يعكر صفوه الآن يحمل بيده ألبوم صور قديم له مع عائلته، زوجته الراحلة بشعرها الأحمر والنمش الوردي المتناثر على وجنتيها وهي تحمل بين يديها عمر وهو بعمر سنة وصورة أخرى له بعمر خمس سنوات يبتسم وهو يلتقط الكرة وابتسامة طفوليه بريئة على وجهه وأخرى وهو يلوح له بيده في أول يوم مدرسة والعديد من الصور التي أعادت له الحنين، أخرجه من ذكرياته تلك صوت طرقات خافتة على باب الغرفة

: بابا

: تعالي يا عمر حمد الله على السلامة

: الله يسلمك

وجه عمر نظره الي تلك الصور لتتسع عيناه بحنين ليردف

: ياااه الصور دي لسه موجودة

: طبعا كل لما أحب اتكلم مع أمك أو توحشني بطلع الألبوم ده واقعد احكي ليها كل الي جوايا

التقط صورة له مع والدته لينظر له بشوق

: كانت جميلة أوى..... الله يرحمها

أخذ يقلب في صفحات ذلك الألبوم حتى توقفت عيناه على صورة لأشخاص لا يعرفهم ولكن لحظة هو يعرف تلك الفتاة .....كيف أتت تلك الصورة إلى هنا!؟

هي .... صاحبة الرداء البنفسجي!!!

: ده عمك عاصم مع مراته وليلى بنتهم كانت آخر صورة ليهم سوا

أيعقل؟ إذا والده طوال هذه المدة كان على حق

والده الذي لم يترك شبرا واحدا إلا وبحث عنها به وهو جمعه القدر معها مرتين ولا يعرفها!!

***

دخل سريعا إلى المنزل اتجه إلى مكتب والده حاول جاهدا التقاط أنفاسه دار ببصره في جميع أرجاء المكتب ولم يجده ظل ينادي عليه عدة مرات دون رد يظن أن والده سيسعد أنها ما زالت على قيد الحياة اختلس النظر إلي طاولة المكتب ليقع على نظرة ذلك الملف الأسود أخذه الفضول ليرى ما بداخله لتكون صدمته الكبرى!!

يبدو أن هذا يوم المفاجأة بالنسبة له نظر للأوراق بنفور أي كوارث تلك التي يحملها بين يديه والصدمة الأكبر إمضاء والده أسفلها!!

لا بالتأكيد هذا حلم هناك خطأ ما للحظه تمني لو لم يستيقظ اليوم لو أن روحه صعدت للسماء قبل أن تصدمه كل هذه المفاجأة دفعة واحدة دون رحمة .....ترك الملف بل ترك المنزل بأكمله دار بالشوارع شاردا تائها لا حول له ولا قوة حاول بكل جهده حبس دموعه حتى لا تخونه لكن فشل، أخذ يفكر حتى كادت رأسه تنفجر ترى ماذا يفعل الآن؟؟

يريد أن يصرخ ويصرخ حتى يضيع صوته.... مستحيل والده ومثله الأعلى مجرم

كيف ... كيف؟؟

***

كاد أن يخبر والده أنه كان على حق كل تلك المدة لكن قطعهم صوت تلك الطرقات على باب المنزل اتجه والده ليفتح تفاجأ من مظهر ذلك الواقف أمامه ووجهه الشاحب

: كريم مالك يا ابني؟!... تعالى

: أنا محتاج مساعدتكم ضروري عارف أنك أكتر واحد ممكن تساعدني

: في ايه يا كريم قلقتني؟! .... ادخل بس ارتاح الاول

اتجه الاثنان للداخل انضم إليهم عمر ليعرّف كمال كلا منهم على الاخر

ألقى كل منهما التحية على الآخر ليتحدث بعدها كريم في عجالة

: حبك لعمي عاصم وليلى هما الي خلوني اجيلك دلوقتي بعد الي عرفته

: عرفت ايه يا كريم؟!

: انت كنت صح ليلى عايشة

اتسعت أعين كمال بدهشة ليردف كريم

: ايوا يا عمي شفتها النهاردة وقابلتها واتكلمت معاها كمان

نعم ... نعم اخيرا لم يكن يهزي كما اعتقد الآخرون، قلبه لم يكذب عليه ولو مرة واحدة، هي على قيد الحياة ولو أنكر الجميع

اتجه يقف مقابل كريم مباشرة ليقول بلهفة واضحة

: احكيلي كل حاجة

جلس كريم على أقرب كرسي قريبا منه ونكس رأسه لأسفل بحزن

: مش ده بس الي عرفته للأسف

انخلع قلب كمال بارتياع، أيعقل أن يكون حدث لها شيء؟ أن تضيع منه مرة أخرى بعد أن كاد يجدها؟ ليردف كريم بخجل وخزي

: بابا يا عمي

: ماله؟!

ساد الصمت لثواني

: الي عرفته عنه النهاردة هد الصورة الي كنت راسمها ليه في خيالي الأب المثالي الشريف الي لا غبار عليه كل ده اتهد

: فهمت تبقي عرفت ... اكيد صدمتك في ابوك مش قليلة دلوقتي ومش سهل أنك تتقبلها بسهولة أنا نفسي فضلت ورا الموضوع لحد ما اتأكدت .... للأسف كل الي عرفته بيأكد أن أبوك بيودي نفسه في داهية بأيده انت فاهم يعني ايه أدويه فاسدة يعني ملايين من الأرواح ملهاش ذنب هتموت ده غير الشباب الي هتبقي مدمنه من غير ما تحس كل ده بسببه هو

نظر له كريم بدهشة

: عمي انت كنت عارف؟!

هز كمال رأسه بحزن

: من زمان بس كنت محتاج دليل ..... أهم حاجة لازم نعملها دلوقتي إننا نعرف مكان ليلى أكيد هنقدر نلحق أبوك قبل ما ينفذ أي حاجة

***

منذ أن أغلقت معه الهاتف وهي شاردة ما قاله لا يعقل أبدا؟!

كل هذا الوقت كانت تأوي ابنة عمه في منزلها دون أن تعلم كانت بجانبها طوال الوقت وهو يبحث عنها بكل مكان تلك الفتاة التي كانت تغار منها كانت معها تحت سقف واحد فازت بقلب والديها حتى أصبحا لا يستطيعان الاستغناء عنها كأنها ابنتهم

والدها يا إلهى تري كيف تكون ردة فعله عند مجيئهم؟!

كيف ستشرح له الأمر من الأساس؟؟

: مالك واقفة كدة ليه؟

: فتون كريم جاي دلوقتي

: نعم ياختي!!

: اسيا تبقي بنت عمه

قالتها بدهشة وهي حتى الآن لم تستوعب الأمر لتتسع أعين فتون

: ايه .... ازاى؟!

: انا زيي زيك لحد دلوقتي مش قادرة استوعب ولا أفهم دول جايين دلوقتي هنجبها لبابا ازاى؟

: هي ايه دي الي مش عارفة تجبيها لي ازاى؟!

هل ستبالغ إن قالت أنها الآن تود لو أن تنشق الأرض وتبتلعها

تسمرت كل منهما بمكانها لثواني لتفجر تلك المفاجأة

: بابا أهل اسيا جايين دلوقتي

: نعم!!

عقد حاجبيه بعدم فهم لتكمل سريعا

: ايوا شافوها النهارده معايا عند الدكتور وجايين دلوقتي

نظر إليها بشك على من تكذبين يا صغيرة هل تعتقدين أنني ساذج إلى تلك الدرجة حتى تخيل علي كذبتك الطفولية تلك ولكن لما الكذب من الأساس بالتأكيد بالأمر سر وسأعرفه قريبا

أصبح هناك الكثير من الأشياء تحدث خلف ظهري بالفترة الأخيرة ولن أسمح لهذا الأمر أن يستمر

صوت طرقات سريعة على باب المنزل وقع معها قلب حياة بين يديها دعت ربها أن تمر تلك الليلة على خير

:مساء الخير

قالها كمال بابتسامة بشوشة

: مساء النور

قالها عبدالله بوجه خالي من التعبير مما أضاف إلى الموقف الكثير من التوتر حاول كمال تدارك الموقف بكل هدوء وهو يعرفه بنفسه

: أنا المستشار كمال عمران عم ليلى

: ليلى !!

: ده اسم اسيا الحقيقي يا بابا

قالتها حياة بتوتر ليرمقها عبدالله بضيق يبدو حقا أنه أصبح آخر من يعلم في هذا البيت

***

كانت تجلس بالداخل غافلة عما يحدث بالخارج همست لها حياة

: ليلى

نظرت لها اسيا بدهشه وقد جاء صوت عبدالله من الخلف

: خلاص كدة يعني هتفارقينا

أخذها بأحضانه بحنان أبوي لكنها تسمرت مكانها لم تقوَ حتي على رفع يديها تبادله ذلك الحضن كانت شاردة لبعيد لتصرخ برعب عندما أخبرها

: تعالي يا بنتي عمك وابن عمك مستنينك نفسهم يشوفوكي

: لا .. لا لا يا عمي أرجوك لو ليا غلاوة في قلبك زي ما بتقول ما تخليهمش ياخدوني مشيهم من هنا

هتفت بها كالمجانين جسدها كله يرتجف بين يديه تبكي كأنها لم تبك من قبل مما أثار دهشة الجميع

: ازاي بس يا بنتي دول أهلك!!

: دول مش أهلي أنا معرفهمش

دخل كمال على صوتها الصارخ ليتمزق قلبه على حالتها وما وصلت إليه هل هذه أمانه صديقه الذي عهد نفسه أن يحميها ما دام حيا اقترب منهم ليهتف باسمها بخفوت

التفتت بلهفة على صوته ذلك الذي تعرفه جيدا فهو كان طوق نجاتها الأخير بتلك الحياة ركضت ناحيته وارتمت بأحضانه اخذت تبكي لتقول بين شهقاتها

: عمي كمال كنت فين سبتني ليه أنا كنت بموت في اليوم مية مرة من الخوف

نظر الجميع إلى بعضهم بدهشه وأعين متسعة فأخذ كمال يربت على ظهرها مطمئنا

: غصب عني يا بنتي والله دورت عليكي في كل مكان كان ناقص اني اشق الأرض نصين وأدور عليكي تحتها كانت كل حاجة حواليا بتقول اني استسلم للأمر الواقع انك خلاص.....

قطع جملته ولم يقدر علي نطقها لتهتف حياة

: ليلى انتى فاكراه ازاي؟!

اختلست ليلى نظرة أخيرة إلى الجميع قبل أن تنظر إلى الأرض بأسف

: أنا مكنتش فاقدة الذاكرة أصلا

: ايه !!

قالها جميع من بالغرفة بصدمة

: هنفهم كل حاجه دلوقتي بس الأول تعالي معايا في حد برا نفسه يشوفك

قالها كمال وهو يجذبها من يدها إلى الخارج لتتسع ابتسامتها عندما وقعت أنظارنا على كريم ركض كل منهما نحو الآخر بفرحة، عانقا بعضهما عناقا لم يخلُ من الحزن والعتاب والكثير من الحرج

ترى هل تعلم بما يفعله والده لهذا هربت؟!

إن لم تكن تعلم فماذا ستكون ردة فعلها عندما يخبرها !؟

هل ستكرهه؟ هل ستفقد الثقة فيه!؟

كل تلك أسئلة دارت برأس كريم كانت تحتاج إجابة

لو كانت النظرات تحرق لأحرقتهم نظرات حياة الآن التي تقف تقضم أظافرها بعيد

: كريم وحشتني أوى

قالتها ليلى من بين دموعها أخرجها كريم من بين أحضانه لينظر لها بحرج

: أنا آسف يا ليلى آسف على كل حاجة

: متتأسفش يا كريم أنا عارفة أنك مش زيه

إذا كانت تعلم بكل شيء ليردف

: بس انتى افتكرتيني ازاي؟!

: انا مش فاقدة الذاكرة ولا حاجة أنا كنت بقول كدا عشان خايفة أرجع

انتبهت أخيرا لذلك الواقف بعيدا ينظر لها بابتسامة سمجة لتردف

: انت ايه الي جابك هنا؟!

قالتها بدهشة وهي تشير إلى عمر

: ايه ده انتوا تعرفوا بعض؟!

قالها كمال باندهاش ليجيبه عمر بهدوء

: ايوا يا بابا اتقابلنا قبل كدة مرتين هبقي احكيلك بعدين

نظر كمال إليهما بشك لكن هذا لا يهم الآن

: المهم دلوقتي يا ليلى مستعدة تظهري لعمك؟

: ازاى يا عمي دي لو ظهرت دلوقتي هيبقى فيه خطر عليها؟؟

: ما هي دي هتكون مهمتك يا كريم تحمي ليلى وتعرف أبوك بيخطط لايه

"أبوك" من كان يصدق أنه سيقف بيوم من الأيام ليخطط ضد أبيه

: عمي اللي كان عايز يموتني والي قتل أبويا وأمي

: عارف يا ليلى عشان كدة لازم ياخد جزاؤه .... حاجات كتير اتغيرت لما هربتي

: أخد كل حاجه مش كدة؟

: مش كدة وبس ده بقا يلعب على كيفه ولا همه حد

نظرت إليه بتساؤل

: عزيز بقا يلعب على كبير أوي ..... البيه بعد ما كل حاجة بقت في ايده بقا يطلع تراخيص لإنتاج وتسويق دوا جديد ودفع رشاوي لمسؤولين حكوميين عشان يسمحوا له ينتج الدوا ودة طبعا بعد ما يقلل المادة الفعالة ليه و اللي هي أغلى حاجة في الدوا وينزله السوق بسعر أغلي من تمنه الأصلي ودة غير الآثار الجانبية للدوا الي مش هتتكتب على العلبة ويمنع أي منافس للدوا أنه يدخل السوق ودفع رشاوي ممكن توصل لملايين لكوادر طبية ومستشفيات عشان يستخدموا الدوا ورشاوى لدكاترة عشان يوصفوا الدوا للمرضي حتى لو مش محتاجينه لحد ما المريض يدمنه

: مستحيل ازاى بابا كان مدي الأمان لعمي من غير ما ياخد باله من كل الشر ده؟!

قالتها ليلى بحزن ليربت كمال على كتفها

: ياما حذرت أبوكي بس هو كان طيب كان عنده أمل أن اخوه يتغير بس للأسف .....

قطع جملته وهو ينظر لكريم بحرج

كيف!؟ كيف لهذا الشاب أن يكون له أب كهذا؟!

: أنا مستحيل أخليكي تروحي لراجل زي ده يا بنتي

قالها عبدالله بحزم ليخبره كمال باطمئنان

: اطمن يا عم عبدالله أنا عندي الحل أصلا دلوقتي هو الي لازم يخاف مننا

{الفصل العاشر}

أدركت أخيرا أنه كان مقدرا لي أن أسير في طريق لا يشبهني حتى أتعلم كيف أثور بوجه العالم لانتزاع حقي من رحم الظلم

: ايه هو يا بابا؟

قالها عمر بفضول لينظر له كمال بحزم

: هنلعب على المكشوف

نظر له الجميع بتساؤل ليردف

: يعني انتى هتظهري تاني يا ليلى ظهورك دلوقتي هيفدنا كتير

: ازاي بس؟!

: اسمعيني يا بنتي الفرصة دلوقتي جات لحد عندك عشان تتعلمي ازاي تكوني قوية لازم ترجعي حقك وتوقفي قدام الي أخده وتطالبي بيه وانتي عينك في عينه من غير خوف وكلنا هنكون جنبك لحظة بلحظة .... مش كدة يا كريم

قال جملته الأخيرة ليرى ردة فعل كريم كيف ستكون لن يلومه إذا رفض يعلم أنه الآن بموقف لا يحسد عليه

: طبعا يا عمي

قالها كريم وعيناه ممتلئة بالدموع ليبتسم كمال له بإعجاب اتجهت ليلى إليه بخطوات بطيئة

: كريم انت هتقدر تعمل كده؟؟ ...مهما كان ده ابوك صدقني مش هلومك لو رفضت تساعدني

حاول جاهدا منع دموعه ليبتسم لها بحب وهو يخبرها

: ابويا ؟.... ابويا الي اكتشفت اني معرفش عنه حاجة طول السنين دي الي حاول يقتلك وهو عارف إنك أقرب حد ليا ابويا تاجر الأدوية الفاسدة تفتكري هو ده الأب الي افتخر بيه يا ليلى وأخاف عليه يا ليلى

لم يقدر أن يمنع دموعه أكثر من ذلك نظرت إليه حياة بفخر وإعجاب نعم هذا هو كريم كما عرفته دائما

: كريم أنا آسفة

قالتها ليلى بخجل

: لا لا أنا الي آسف يا ليلى آسف على كل الي حصل

: طب يلا بينا مفيش وقت هفهمك تتصرفي ازاي في الطريق وتركزي كويس في كل كلمة بتقوليها عزيز ذكي جدا وسهل أوي يكشفنا من أقل غلطة فاهماني

هزت رأسها بنعم وجسدها يرتجف خوفا من القادم

***

بالسيارة تولى عمر القيادة وهو يختلس إليها النظر من المرآة كل دقيقة بينما بدأ كمال الحديث

: بصي يا ليلى اسمعي الكلام ده كويس وافهميه انتى هترجعي تاني لعمك صحيح بس مع شويه تغيير

عقد الجميع حاجبيه بتعجب ليردف بتوضيح

: هنقول زي ما كنتي مفهمة الناس الي كنتي عندهم أنك فاقدة الذاكرة

: وده هيساعدنا في ايه؟؟

قالتها ليلى بتساؤل

: من ناحية هيساعدنا فا هو هيساعدنا كتير وهيفسر غيابك أكيد لما ترجعي هيسألك كنتي فين المدة دي كلها وايه الي خلاكي تهربي ولو مكنتيش هربتي مرجعتيش ليه

: طب لو سألها ايه الي خرجها من البيت من الاول؟!

قالها كريم

: اكيد لأنها فاقدة الذاكرة مش هتعرف تجاوب

أومأ كريم رأسه بفهم ليردف كمال بحذر

: خلي بالك يا ليلى عمك ذكي ومش سهل وهيكشفك بسهوله عشان كدة تاخدي بالك من كل كلمة وحركة بتعلميها انتى داخلة عش دبابير

حاول كريم بث بعض الطمأنينة بداخلها

: متقلقيش احنا كلنا جنبك وانا هبقي معاكي مش هسيبك لحظة

نظرت له بامتنان

: مش انت بس الي هتساعدها في حد كمان هيبقى معاكم وينقل ليا كل الاخبار

: مين يا عمي؟؟

: البنت الي ساعدتك تهربي

: شروق!!

: ايوا الصراحة البنت دي ساعدتني كتير عشان اعرف كل البلاوي الي بيعملها عزيز

يا إلهي أقرب الأشخاص الي يتمنى لو يأكل لحمي حية أما الغريب فيقف بجانبي دون مقابل هل أصبحنا نعيش بغابة لا حكم فيها ولا قوانين فقط البقاء للأقوى والأكثر شرا!!

هذا ما دار بذهنها قطعه صوت كمال وهو يتحدث مع شروق عبر الهاتف يشرح لها ما ستفعله بحذر ولكن يبدو أن الأخيرة صدمته بشيء ما

: طيب يا شروق خلاص أنا هتصرف

أغلق معها الهاتف بضيق لينظر لكريم

: في ايه يا عمي؟

: انت حكيت لباباك عن حياة؟

سقط قلب كريم بين يديه ماذا حياة هل حدث لها مكروه؟

هل أذاها والده؟

هو بالأساس لم يحكِ لوالده عنها

من أين يعرفها؟!

: حياة.... مالها؟؟

: أبوك مكلف حد يبدأ يراقبها

: ايه ازاي هو يعرفها منين؟!

: ده مالوش غير تفسير واحد أن ابوك مراقبك بقاله مدة وعارف عنك كل حاجة وشافك معاها فا عايز يعرف دي مين

: يعني كان عارف مكاني

قالتها ليلى بذعر

: هو لسه هيبدأ يراقبها وهو لو كان عارف مكانك كان زمانه خطفك من وسطهم وخلص عليكي من بدري ومحدش كان هيشك فيه

لم يزدها حديثه إلا خوفا ثم نظرت إلي كريم لتهتف

: كريم احنا لازم نحذر حياة تاخد بالها

***

يجلس الجميع بحزن لم يتوقعوا أن فراقها سيشكل فارقا كبيرا هكذا صحيح أن المدة التي قضتها معهم ليست بطويله لكنها تركت بداخل كل منهم أثرا لن ينسوه!!

: يا حبيبتي يا بنتي مكناش نعرف أن فراقك هيأثر فينا كده والنبي غلاوتها عندي كانت زي البنات تمام

قالتها راقية بحزن لينهض بعدها عبد الله بهدوء

: حياة تعالي ورايا

كانت تعلم أن تلك المواجهة قادمة، لكنها لم تكن تعلم أنها قريبة بهذا الشكل نهضت بتوتر ألقت نظرة أخيرة على فتون تبث بداخلها الدعم اتبعته للداخل لتجده يقف أمام تلك النافذة الصغيرة أشار لها أن تجلس أمامه امتثلت لأمره لتسمعه بعدها يتحدث بهدوء

: انتى عارفة أنك انتى واختك أغلى حاجة عندي مش كدة؟

: أكيد

: وعارفة إني ربتكم على الصراحة والوضوح وأن أي واحدة فيكم يحصل معاها مشكلة او عايزه تتكلم في حاجة أكون أول واحد تجري عليه وتحكيله صح؟

بدأت بفرك يدها بتوتر لتغمغم بصوت خافت

: ايوا

قالتها لتتسع عيناها بصدمة حين سمعته يقول

: بس انتوا النهاردة خذلتوني

: بابا أرجوك صدقني ال.....

: لما اكتشف أن بناتي ابتدوا يخبوا عليا وتوصل الدرجة معاهم للكذب لازم أحس بكدة

: ادیني فرصة اشرحلك كل حاجة

: توعديني أنك متكذبيش

نظرت إلى الأرض بحرج وبصوت خافت

: أوعدك

***

اتجهت السيارة إلى داخل فيلا عاصم كان أول من هبط منها هو كريم ليخبرهم بصوت خافت

: انا هدخل دلوقتي لبابا وهقوله أن في معايا مفاجأة برا وانتي يا ليلى اتصرفي عادي جدا ومتبينيش إنك خايفة اوعي تنسي انتى فاقدة الذاكرة

: حاضر متقلقش

اتجه كريم للداخل وجد والده يجلس يتابع بعض الأخبار وبيده سيجارة أوشكت على الانتهاء لحظات نظر له كريم بخيبة أمل

من كان في نظره المثل الأعلى الآن ماذا أصبح مجرما قاتلا!!

تدارك سريعا تلك الدموع التي تلألأت بعينيه ورسم ابتسامة زائفة

: بابا مش هتصدق مين برا معجزة يا بابا معجزة

نظر عزيز إليه بدهشه ماذا حدث هل جن كريم أم ماذا؟!

: فيه ايه يا كريم مالك ومعجزة ايه دي عمك عاصم رجع من الموت تاني ولا ايه!؟

قال جملته الأخيرة بسخرية وابتسامة جانبية ليجيبه كريم سريعا

: لا يا بابا وانت الصادق بنته ...ليلى ..... ليلى رجعت

صدمه شلت جميع أعضائه

ماذا؟!؟!

: بابا ...بابا انت سامعني روحت فين؟.. أكيد مش مصدق عندك حق وأنا كمان مكنتش مصدق لحد ما شفت بنفسي

لا ليس الآن ليس بعد أن أوشكت على الوصول إلى كل ما خططت لأجله

لن تفشل خططي بتلك السهولة لن أسمح لذلك أن يحدث حتى ولو اضطررت لحرق الأخضر واليابس معا

: بابا ... بابا روحت فين؟!

نظر له عزيز بجمود

: عرفت منين أنها عايشة؟!

: كنت بزور واحد صاحبي في المستشفى شفت واحدة شبه ليلى خارجة من عند الدكتور في الأول مصدقتش معقول الشبه ده روحت وكلمتها عرفت إنها فاقدة الذاكرة ومش فاكرة أي حاجة عن حياتها وأنها عايشة مع راجل غلبان ومراته وهما الي لاقوها مغمي عليها في الطريق جنب الفيلا هنا بس مكانوش يعرفوها أخدوها لبيتهم ولما فاقت ماكنتش فاكرة اي حاجة وفضلت معاهم

ظل يتابع كريم تعبيرات وجه والده طوال حديثه ليرى ردة فعله، الغريب أنه لم يظهر على وجهه أي تعبير غضب، كره، حزن ندم لكن للأسف لا شيء وجه صلب خالٍ من التعبير وهذا جعله يقلق أكثر!!

: هي فين؟

: برا

اتجه الاثنان إلى الخارج يدعو كريم بسره أن تمر تلك اللعبة على خير ولا يخسر بها أحدا

رآها تقف أمامه بجانب كمال نظر لها بغضب يتمنى لو أن ينقض على عنقها ويتخلص منها الآن ولكن صبرا يا عزيز القليل من الانتظار لن يضر

: ايه يا عزيز مش هتسلم على بنت أخوك؟

نظر له عزيز باستخفاف

: مش لما أتأكد انها ليلى الأول مش ممكن تكون نصابة

نظر الجميع إلى بعضهم بتوجس ليبتسم كمال ابتسامة جانبية بسخرية

: غريبة أن مش قولت في المشرحة إنها بنت أخوك وأنك أكتر واحد تعرفها كويس ازاى مش قادر تعرف دلوقتي إذا كانت دي ليلى أو لا؟!

: همشي ورا كلامك وأقول إن دي ليلى كانت فين كل المدة دي؟!

: منا قولتلك يا بابا ليلى فاقدة الذاكرة ومش فاكرة حاجة مع الوقت ممكن تفتكر ونعرف منها كل حاجة

: وأنا مش داخل دماغي الكلام ده

: طيب يا عزيز لحد ما تقتنع ليلى هتفضل قاعدة هنا في بيتها بيت أبوها وانت اقتنع على مهلك

قالها ثم أشار إليها أن تصعد لأعلى

: أنا هطلع معاكي أوريكي اوضتك تعالي

قالها كريم وهو يصعد معها لأعلي

احمرت عينا عزيز بغضب يقسم من يقترب منه أنه يرى الجحيم داخل عينيه

: طيب أسيبك دلوقتي يا عزيز واشوفك بكرا يلا يا عمر

اتجه الاثنان خارج المنزل ظل عزيز يتابع خروجهم بشرود ثم أخرج هاتفه يحادث أحدهم سريعا

: كريم أنا خايفة أوي

قالتها ليلى بتوتر شديد

: متخافيش كلنا معاكي

: أنا أول ما شفته وعيني جت في عينه حسيت أني هعترف بكل حاجة وأنه عارف اني كذابة

: لا أرجوكي يا ليلى اجمدي احنا تمام لحد دلوقتي هي مسألة وقت وكل حاجة تنتهي

: كلمت حياة ؟

نظر لها بتشتت يتذكر الحديث الذي دار بينهما

***

قصت حياة على والدها كل شيء عن كريم كيف تعرفت عليه مقابلاتهم سويا حتى علمت بعلاقته بليلى لتتفاجأ بسؤال والدها

: بتحبيه؟

نظرت له بأعين متسعه من الدهشة آخر سؤال كانت تتوقعه الان!!

حب؟؟

هل حقا تحبه أم أنها اعتادت وجوده حولها دائما؟؟

ماذا تخبره الآن؟ لا لا هي لا تحبه هي فقط تسعد برؤيته تشتاق لغيابه تحب سماع ضحكاته تغار عندما تراه وهو يتحدث عن فتاه اخري تشعر بالوحدة من دونه

لا داعي للمبالغة بالتأكيد هذا ليس حبا

هو فقط .....

ماذا ؟

ما هذا الشعور اللعين يا ترى؟؟

: بتحبيه؟؟

كرر سؤاله لتقابله بصمت مرة أخرى

: بصي يا بنتي أنا مش هقول حكم ومواعظ والكلام بتاع الأفلام ده، بس كل الي هقوله أنه مينفعش ...مينفعش تحبيه صحيح الولد شكله جدع وشهم بس عالمهم غير عالمنا ولو مش شايفه ده دلوقتي هتشوفيه بعدين وكمان أنا ايه الي يضمنلي أنه مش زي أبوه دي لوحدها كارثة أنا مش هدي بنتي لواحد أبوه مجرم

: بس .....

: حتي لو مش زيه يا حياة .... حتى لو مش زيه حكاية أبوه هتفضل شوكة في ضهره طول العمر والكل هيفضل فاكرها

: بابا أنا مي.....

: انتي بتحبيه يا حياة وعارف أنه مش بأيدك تمنعي المشاعر دي بس لو حكمتي عقلك هيقولك نفس كلامي

: اديني بس فرصة اشرحلك فيها .....

: حياة الموضوع ده يتقفل ومش عايزه يتفتح تاني ومش عايز أسمع أنك شفتيه من ورايا مفهوم

قالها بطريقة غير قابلة للنقاش لتنظر أرضا محاولة كبح دموعها وبصوت يملؤه الحزن

: حاضر يا بابا

ليرن هاتفها ولم يكن أحد غيره نظرت لوالدها بحيرة ليقترب منها ويضع وجهها بين كفيه

: أنا واثق فيكي وعارف أنك مش هتخذليني

قال كلمته وتركها في حيرتها

ظلت بحيرتها تلك حتى انقطع الاتصال ليعاود مرة أخرى لتتخذ القرار ستجيب ولتغلق تلك الصفحة بسلام أزالت دموعها لتجيب

:الو

: حياة اسمعيني كويس في الي هقوله وركزي معايا

: خير يا كريم ايه الي حصل اسيا ...قصدي ليلى بخير؟

: الحمد لله لحد دلوقتي تمام بس عرفت حاجة مهمة ..... بابا كلف حد يراقبك

ماذا؟!

مراقبة؟!

ولها هي !!

هي لا تعرف والده من الأساس!!

العديد من الأسئلة دارت بداخلها أخرجها منها صوته

: أنا عارف أن فيه أسئلة كتير دلوقتي في دماغك محتاجة إجابة المهم دلوقتي أني عايزك تخلي بالك من نفسك لحد ما نتقابل وأنا هفهمك كل حاجة

: بس احنا مش هنتقابل تاني

قالتها بحزن ليجيبها بتعجب

: نعم!!

: قصدي يعني أن انا الفترة الي جاية دي مشغولة اوي وعندي حاجات كتير مش هنعرف نتقابل

: مالك يا حياة؟؟

: أبدا مفيش أنا لازم أقفل دلوقتي سلام

قطعت الخط لتترك لدموعها العنان، أخذت تبكي كما لم تبك من قبل أما هو وقف ينظر للهاتف لدقائق بحيرة ماذا حدث يا ترى؟

{الفصل الحادي عشر}

تعتقد حين يجبرك القدر في بعض الأحيان أن تعيش حياة لا تناسبك أو ربما هي خدعة منه لتكتشف في النهاية أنها الحياة الأمثل لشخص بائس مثلك يا صديقي

لم يترك شيئا بالغرفة إلا حطمه

لا .. مستحيل .. ليس الآن بعد أن أوشكت خططي أن تنجح تأتي هي بكل سهوله لتفسدها لن اسمح لكِ بذلك لن تنتصري عليَّ أيتها الحقيرة أقسم أني سأشرب من دمائك حسنا لننهي تلك اللعبة لقد طالت كثيرا وسوف أخرج منها الفائز لكن قبل أن تكتب كلمة النهاية يجب أن يندم الجميع أولهم السيد كمال لنجعله يرى الجحيم إذا

: اهدا يا باشا أكيد لها حل

قالها حاتم

: مبقاش ينفع حلول اللعب دلوقتي بقا على المكشوف والضربة الي جاية هتبقي في القلب

: اؤمرني يا باشا

: جهز رجالتك

***

تخرجان من بوابة الجامعة متجهتين إلى ذلك المكان الذي اقترحته يارا

: انتى متأكدة أن المكان ده هيطلع حلو ولا زي بتاع المرة الي فاتت؟

: لا متقلقيش المكان هيعجبك أوي أنا متأكدة

اتجهت الفتاتان للداخل

اقتربت يارا من إحدى الطاولات اندهشت فتون هناك أحد يجلس على تلك الطاولة لا ترى منه سوى ظهره أشارت لها يارا كي تقترب اقتربت بالفعل ورأته

أنه هو

ماذا يفعل هنا؟!

يبدو أنه على معرفة جيدة بيارا، أيعقل أنها تواعده هنا؟؟

إذا لماذا أحضرتني معها؟!

مد ياسين يده ليصافحها لتمد الأخرى يدها بتحفظ

: أنا الي طلبت من يارا أنها تجيبك هنا عشان عايز اتكلم معاكي شوية

نظرت فتون لها نظره نارية مستاءة

: احم .... طيب أنا هعمل مكالمة ضروري عن إذنكم

قالتها يارا ثم انصرفت سريعا لتتركها معه وحدها نظرت فتون إليها وهي تنصرف بصدمة حسنا يبدو أن تلك الفتاة تعجل بنهايتها وقريبا ستكون على يدي

: اتفضلي اقعدي

أشار لها كي تجلس إلا أنها رفضت

: معلش مش هقدر ممكن تقولي كنت عايز تقولي ايه بسرعة؟

: طيب أكيد مش هنتكلم واحنا واقفين متخافيش مش هاكلك

: انا مبخافش

: يبقي تقعدي

نظرت له بتحدي ثم جلست بالفعل

: قعدت اهو ممكن تقولي عايز ايه؟!

أشار هو إلى النادل كي يحضر كوبين من العصير ثم عاد إليها

: باختصار ومن غير لف ودوران أنا معجب بيكي

فغرت فاها بصدمة

ماذا؟؟

كيف ومتى؟؟

هي لم تره سوى مرتين وفي كل مرة لم تتعد المقابلة الثواني

هل يمزح هذا الشاب؟!

ظل يرمق ردة فعلها وهو يبتسم

: اقفلي بوقك هيسلم على الأرض

أغلقت فمها بحرج، أتي النادل ووضع الأكواب أمامهم ثم انصرف

: معلش بس انت قولت ايه!؟

: قولت معجب بيكي وعايز نبقي أصحاب

: لا مش فاهمه يعني ايه؟!

: يعني نخرج نسافر نتكلم ونبقي مع بعض

: أخرج وأسافر وأتكلم مع حد معرفوش ..... ويا ترى بقي لما أهلي يسألوني رايحة فين أقولهم ايه؟

: فكري في أي كذبة رايحة عند صاحبتك مسافرة تبع الجامعة أي حاجة

: أكذب عليهم؟

: كذبة بيضا..... ايه رأيك؟

صمتت فتون لثواني ثم نهضت بهدوء التقطت أحد أكواب العصير لتسكبه فجأة على وجهه نظر جميع من في المكان إليهم باندهاش

: انتي اتجننتي انتى مش عارفة أنا ابن مين؟؟

صرخ بها ياسين

: طظ ..... اسمع يا جدع انت واحفظ كلامي كويس انت ممكن تشتري أي حاجة بفلوسك إلا حاجة واحدة بس بنت أهلها ربوها كويس جدا عشان لما يجي واحد زيك في يوم يقابلها تعرف ترد عليه

التقطت حقيبتها ورحلت سريعا

ليقف هو يحترق غيظا أقسم بداخله أن يكسر تلك الفتاه

: مش قولتلك

قالها زين بعد أن قام من على تلك الطاولة الجانبية التي كان يجلس عليها يتابع الموقف من أوله

: والله لأدفعها تمن ده غالي اوي

: هتعمل ايه يا مجنون؟!

لم يرد عليه تركه ورحل سريعا

***

: فتون ... فتون ... استني

تهتف بها يارا وهي تركض وراءها لا تفهم شيئا

ماذا حدث؟

ماذا قال لها ياسين كي تغضب هكذا؟

رباه هل أخطأت عندما جاءت بها إلى هنا كي تقابله؟

هو من أخبرها أنه معجب بصديقتها ويريد أن يتحدث معها هل كان يكذب أم إنها ساذجة زيادة عن اللزوم وكان يلمح لشيء ما خلف كلمة معجب

: فتون استني اسمعيني

: اسمعي انتى أنا مش عايزه أعرفك تاني انتى فاهمة كنت فكراكي محترمة أكتر من كدة

لمعت الدموع بعينيها تلعن ذلك الأحمق بداخلها ألف مرة لوضعه إياها في هذا الموقف الأكثر من مخجل

: ممكن قبل ما تنزلي فيا إهانات تفهمي .... هو الي جه وقالي إنه معجب بيكي وعايز يتكلم معاكي وأنه مش عارف يتكلم معاكي جوا الجامعة وعايز يقابلك برا

: تقومي تتفقي معاه إنك تجيبيني لحد هنا عشان يعرض عليا عرض رخيص زي ده

: نعم !!..... عرض ايه؟

قصت عليها كل ما حدث لتتسع أعينها بصدمه الحقير كيف يجرؤ

: والله مكنتش أعرف أي حاجة عن الكلام ده

: يارا من فضلك أنا لازم أمشي دلوقتي

: طب هنروح سوا عشان أتأكد إنك سامحتيني

***

تقف أمام إحدى القاعات تراجع بعض الأوراق ستبدأ المحاضرة بعد نصف ساعة

: الجميل مركز في ايه؟

: كريم

: ايه رأيك في المفاجأة دي؟

: حلوة

قالتها ببرود ولكن تقسم أن قلبها سيقفز من بين ضلوعه الآن

: مالك يا حياة؟

: أبدا ولا حاجة .... عن إذنك بس عندي محاضرة هتبتدي دلوقتي

قالتها سريعا ثم تركته يقف وحيدا مشتتا ...برأسه العديد من الأسئلة

ماذا بها حياة؟ .. لمَ تغيرت هكذا؟؟

هل بعد ما عرفته عن والده أصبحت تخجل من الوقوف معه!!

نعم يبدو أن هذا هو التفسير الصحيح

خسارة حياة كنت أظن أنك مختلفة عن الجميع لكن يبدو أنني كنت مخطئا

حسننا تبا لقلبي الذي كنت به أغلى الناس

رحل لتتابع هي رحيله من خلف الباب بدموع كالشلال رحل وتعلم أنه رحل للأبد

أحبه نعم أنا أحبه وبشدة ألم تكن تريد إجابة على سؤالك يا أبي الآن أعترف أنني لا أستطيع العيش بدونه أن قلبي لا يعرف السعادة إلا معه ولكن بماذا يفيد الاعتراف الآن

لقد رحل وأعلم جيدا أنني لن أراه ثانية

ترى ماذا يقول عني الآن؟

تري هل كان يحبني كما أحبه؟

هل أصبح يكرهني الآن؟

***

يشق الأرض ذهابا وإيابا وهو يحادث أحد الأشخاص عبر الهاتف باهتمام شديد

: ها ايه آخر الأخبار؟

: التسليم بعد أسبوع هيكون الساعة ٦ الصبح الأدوية هتتوزع في جميع محافظات مصر

: المكان؟ لازم نعرف المكان من غيره يبقي معملناش حاجة

: أنا ببذل كل جهدي عشان أعرف المكان متقلقش هحاول اعرفه

: مفيش هحاول لازم تعرفة فاهم

قالها كمال بضيق ثم اغلق معه الهاتف ليدخل بعدها عمر

: ها يا بابا ايه آخر الأخبار؟

نظر له كمال بمكر

: غريبه شايفك يعني بقيت مهتم بالموضوع

تهرب عمر من نظراته

: اااا.... اااه.. عادي يعني

: عادي ...طيب ماشي يا ابن عمران ..... وخلي بالك احنا لسه بينا كلام كتير مع بعض أنا لسه معرفش حاجة عن المرتين اللي انت شفت ليلى فيهم؟

أنقذه جرس الباب خرج سريعا وهو يهرب من نظرات والده المتفحصة ما إن فتح الباب ليجده هو صديقه المزعج

: حبيب قلبي الي واحشني أنا قولت آجي اتغدي عندكم أحسن أمي طابخه سبانخ

***

: يعني ايه بقا الكلام ده!!

قالها عزيز بغضب

: زي ما قولتلك كده يا باشا البنت الي استاذ كريم بيقابلها هي نفسها الي كانت الست ليلى عايشة عندها الفترة الي فاتت

: يعني ايه كريم كان عارف إن ليلى عايشة طول الفترة الي فاتت طب ليه مقالش ليه خبا عليا؟!

تائه يعترف الآن أن هناك العديد من المواضيع أصبحت مبهمة بالنسبة له

لمَ لم يخبره ابنه أن ليلى كانت على قيد الحياة كل تلك المدة؟

لمَ خبأها؟

هل عرف كريم حقيقته؟ هل عرف أنه كان ينوي قتلها؟

لا لا .. كريم لن يصدق عنه أي شيء بتلك السهولة هو بنظره صورة للأب المثالي

إذا لمَ أخفى ليلى كل تلك المدة؟ توجد حلقة مفقودة وطرف خيطها معك كريم

ما هذا؟!

صمت لثوانٍ يتقدم ناحية الباب بخطوات بطيئة هادئة يراقب هذا الخيال خلف الباب ليفتحه سريعا

: انتي!!

قالها بصدمه ليردف بعدها

: بتعملي ايه هنا انطقي؟؟

نظرت له شروق بتوتر وهي تفرك يدها

يا إلهي ماذا تخبره ؟؟

هل تخبره أنها كانت تتلصص عليهم

ترى ماذا سيفعل بها الآن؟؟

سيقطعها إلي أشلاء ويطعمها للكلاب هذا أقل شيء

: انطقي كنتي بتعملي ايه؟؟

صرخ بها عاليا لتبكي هي كما لم تبكِ من قبل

: حاااتم

: اؤمر يا باشا

: خدها على تحت وأنا جاي وراك

جذبها من شعرها سريعا لتصرخ هي دون فائدة

***

تجلس بغرفتها حزينة شاردة تملأ الدموع أعينها تحمل الكمان بيدها تتذكر مقابلاتهم معا تتذكر الالحان التي رقصت عليها معه باحلامها لم تعد تخشي أن يراها احد أو أن يكتشف سرها الحبيب

لم تعد تخشي شيئا ابدا بعد فراقه

لم تستمع بهتافات شقيقتها

: حياة .... حياة .....حيااااة

: ااايه ...اايه.... في حد يدخل على حد كدة

: أنا بنادي عليكي من ساعة وانتي ولا هنا ... ايه ده انتى كنتي بتعيطي؟!..... وايه إلى في ايدك ده ؟؟

قالتها وهي تشير الي الكمان

: ده احلي حاجه في حياتي

: يعني ايه ؟

: مش مهم ... كنتي عايزة ايه؟

: مالك يا حياه؟!

ساد الصمت لثوانٍ لم تشعر بهذا السائل الدافئ على وجنتيها

: تعرفي..... أنا اكتشفت أن مش لازم كل حاجة نفسنا فيها تتحقق... ساعات بيكون الأحسن إننا نبعد عن الي بنحبهم ..... لأننا بنكتشف بعد كدة أن وجودهم في حياتنا كان غلط من الأول.....بس ساعات على قد البعد بيكون الوجع.... وأنا دلوقتي موجوعة يا فتون

: كريم؟!

قالتها فتون بتساؤل لتحرك حياة رأسها بمعني نعم لتردف فتون

: صدقيني يا حياة لو ربنا كاتب انكم تبقوا سوا يبقى مفيش حاجة في الدنيا هتقف قصادكم

مجرد التخيل انهم سويا فقط جعلها تبتسم

: ايوا كدة يا شيخة خلي الشمس تدخل بلا نكد.... وبعدين ده واضح أن الهانم مخبية عني حاجات كتير

قالتها وهي تشير بعينيها الي الكمان لتبتسم حياه بخبث

: طب أنا ضحكت اهو انتى بقا مالك؟

قالتها حياة لتتذكر فتون ما حدث مع هذا الشاب لتتصنع ابتسامة زائفة على شفتيها

: متقلقيش أنا كويسة

***

انتهت!!

نعم تلك هي الكلمة المناسبة الآن

تري ماذا سيفعل بها لقد وقعت بين يدي إنسان بلا ضمير أقل شيء يفعله هو أن يحرقها حية

حتى إذا أخبرته الحقيقة فلن يتركها

قيدها بإحكام على هذا المقعد المهترئ وتركها بتلك الحجرة الصغيرة تقسم أنها لم تر تلك الحجرة بالمنزل من قبل هذا الرجل شيطان بهيئة إنسان

صوت أقدام بطيئة تتجه ناحيتها ليظهر بعدها حاتم وعزيز هبط لمستواها وهو يقول بهدوء

: تفتكري يا شروق بت غلبانة زيك بتجري على أكل عيشها عشان تدفع علاج أمها العيانة ايه أكتر حاجة غالية عندها ممكن تخسرها؟

اتسعت أعين شروق بارتياع ماذا يقصد هذا المريض؟؟

نظر عزيز إلى حاتم وهو يغمز له

: ايه رأيك يا حاتم؟

: مش بطالة يا باشا

عاد عزيز ينظر إليها وكانت في حالة لا يرثى لها

: ايه رأيك بقا تخيلي كدة لو سبته عليكي ايه الي ممكن يعمله فيكي

: أبوس ايدك أنا هقولك على كل الي انت عايزه بس سيبني في حالي

ملأت الابتسامة وجهه وقصت عليه شروق كل شيء منذ أن ساعدت ليلى على الهرب إلى الآن

اشتعلت براكين الغضب بعينه

كان يتوقع كل ذلك لكن ما أغضبه حقا وربما جعله يضطرب قليلا هو معرفة ابنه بحقيقته

لا لا كريم لا يفهم شيئا لا يعرف لماذا فعلت كل ذلك

أنا أفعل كل ذلك من أجله

لا أريده أن يعيش حياة كالتي عشتها

لا أريده أن يعاني كما عانيت أنا

لا أريده أن يرى ما رأيته أنا في حياتي من ذل ومهانة

كريم سيتفهم ذلك بكل تأكيد نعم أنا أعرف أنه ابني وسيسامحني على ذلك

حمقى جميعهم حمقي ضعفاء أنا الأقوى هنا، لن تستطيعوا أن تنتصروا عليّ، سأريكم العذاب ألوانا على يدي، تظن نفسك الأذكى سيد كمال لنرَ من سينتصر بالأخير، سأجعلك تركع تحت قدمي وتتوسل لي

: حاااتم ..... رجالتك جاهزين؟

: مستني إشارتك يا باشا

: نفذ حالا

تلقى حاتم الأمر واتجه للخارج سريعا

***

يجلس ليلا مع رفقاء السوء يتناول كأسا وراء الآخر بغيظ

: ما خلاص يا عم ياسين مش حته بت متسواش هتعمل فيك كدة

: مبقاش ياسين إن ما جبتها الأرض وخليتها تبوس رجلي عشان أرحمها

: هتعمل ايه؟!

: تفتكر واحدة وقفت في وشي ممكن اعمل فيها ايه؟

: اوباااااا تعجبني

ضحك الاثنان معا ليمد صديقه يده بلفافة سوداء صغيره بها تلك السموم البيضاء

: ودي بقا حتة جديدة لسه جايالي من واحد حبيبي جربها وهتدعيلي يا برنس

التقطها ياسين دون تردد وقام بتجربتها

***

كانت تجلس بغرفتها بتوتر تشعر بشيء سيء سيحدث بالتأكيد ذلك الشيطان يخطط لشيء ما لم تره من الصباح وشروق أيضا أين ذهبت؟! بحثت عنها بكل أرجاء المنزل دون فائدة

صوت طرقات على باب غرفتها اتجهت لتفتح ليظهر شخص غريب كمم فمها وتسقط فاقدة للوعي!!

***

كان يسير بسيارته على أقصى سرعة دون وعي سحابة بيضاء تذهب وتأتي أغلق عينيه وفتحها عدة مرات دون فائدة الرؤية أمامه مشوشة يشعر أن الأرض حوله تهتز.... ثواني معدودة واختل توازن السيارة ثم انقلبت عدة مرات على الطريق

{الفصل الثاني عشر}

الكمان صوت عصفور يتألم عندما كُسر جناحاه وهو منطلق حرا في سمائه ليسكن عشه فيسقط أرضا فاقدا حريته ووطنه معا

كانت تائهة مع الألحان لا تعلم أين هي ومن تكون كم مر من الوقت وهي على هذا الحال لا تعرف ولا تريد أن تعرف تقف بثقه على هذا المسرح الخالي كالعادة تاركة لدموعها كل الحرية كي تنهمر على وجنتيها لم تجد أي مكان تترك لروحها المجروحة أن تصرخ كهذا

لم تفق إلا على صوت الحارس وهو يخبرها أن الوقت قد تأخر ويجب أن يرحل الآن

توقفت عن العزف وهي تشعر ببعض السكينة حملت حقيبتها واتجهت خارج المبنى ما إن خرجت حتى توقفت أمامها سيارة سوداء ضخمة خرج منها أشخاص ملثمين اختطفوها ثم اختفوا

***

: أنا خلاص تعبت وواقع من الجوع

قالها خالد وهو متجه خارج الشركة بصحبة عمر

: خلاص يا اخويا اديك مروح للست أم خالد عاملة حلة محشي عظمة

: لا وايه أمي شغالة خاطبة الأيام دي كل يوم تعزم ست غادة عندنا في البيت قال ايه وحشتها وجاياها تقعد معاها شوية

: والله حرام عليك البت شكلها بتحبك

: اسكت الله يخليك لولا بس خايف أمي تزعل كنت قطعت علاقتنا بخالتي من زمان

: هههههههههههه ...يالهوى هي وحشة للدرجادي

: مش قادر اوصفلك حاجه كدة عاملة زي الحباية الي بين صوابع الرجلين في جزمة ضيقة

دخل عمر في نوبة ضحك هيستيرية ليتحدث من بينها

: هههههههههههه..... يخربيت فقرك يا خالد روح روح ربنا يرحمك

: كدة ده بدل ما تقولي تعالى أعزمك على الغدا يا خلودي عشان صعبت عليا

: ده أنا أكتر واحد هدعي إنك تتجوزها عشان أخلص منك ومن كل اللي بتعمله فيا

كاد خالد أن يتحدث لولا تلك السيارة التي ظهرت فجأة وتكرر نفس المشهد مرة أخرى الأشخاص الملثمين،

السيارة السوداء كل هذا حدث في جزء من الثانية لم يستوعب عقل خالد ما حدث حتى الآن

ماذا!!

ماذا حدث الآن؟

فليخبرني أحد أنا لا أفهم شيئًا!!

هل؟؟ هل؟؟

عمر قد خطف!!

كأنه استوعب الآن كل شيء ليصرخ

: عمررر!!

***

ضرب الطاولة أمامه بعنف وهو يقف

: نعم يا حيلتها يعني ايه؟!

: والله يا عمي ده الي حصل فجأة جت عربية وقفت قدامنا خطفت عمر من قدامي وانا ملحقتش حتى أستوعب اللي حصل

: هو الحقير مفيش غيره عايز يمسكني من ايدي الي بتوجعني

: تقصد مين؟؟

***

جاء سريعا وهو يركض وقع عليه الخبر كالصاعقة

أمام غرفة العمليات يقف والد ياسين وهو منهار بالبكاء

: ايه الي حصل يا عمي؟!

: زين الحقني يا ابني ياسين بيموت

: ايه الي حصل؟؟

: ناس اتصلت بيا قالولي أن ياسين عمل حادثة على الطريق وجابوه هنا وهو غرقان في دمه ومن ساعتها وهو في العمليات

يا إلهى ياسين كيف؟؟

يدعو الله أن يخرج سليما

صحيح أن ياسين شاب متهور وطائش بكل تصرفاته لكن بالأخير هو صديقه وعشرة عمرة منذ سنوات يدعو له دائما بالصلاح إن لم يكن لأجله سيكون لأجل والده المسكين

ربت على كتف والده باطمئنان

: متقلقش يا عمي ياسين قدها وهيخرج منها على خير

أنهي كلمته ليخرج بعدها الطبيب من العمليات وهو منهك

تأهبت آذانهم جميعا للسماع

: الحالة كانت صعبة جدا والحقيقة احنا بذلنا أقصي جهدنا لكن للأسف المريض دخل في غيبوبة ومش عارفين ممكن يخرج منها امتى

: غيبوبة!!

قالها والد ياسين بصدمة

: ده غير كمان ..... إننا عملنا تحاليل طلع إن كان فيه في جسمه نوع قاتل من المخدرات كان واخده قبل الحادثة

: مخدرات .... انت بتقول ايه!!.... انت متأكد ان اللي جوا اسمه ياسين الحق يا زين الراجل ده بيقول ايه؟!

: اهدا يا عمي أرجوك ..... طب يا دكتور ايه الي ممكن نعمله في حالة زي دي

: مفيش حل في أيدينا غير أننا نستنى

: طب أنا ممكن أسفره برا أوديه أكبر مستشفى في العالم

قالها والد ياسين بانفعال

: مش هيعملوا أكتر من الي احنا عملناه

: طب هو ممكن يفوق امتى؟؟

قالها زين

: مقدرش أحدد ممكن شهر .. اتنين .. سنة

: سنة!!

قالها والده

: أنا مش عايزكم تفقدوا الأمل إن شاء الله يفوق قريب لكن أهم حاجة دلوقتي إنكم تدعوله يقوم بالسلامة عن إذنكم

انصرف الطبيب نظر زين إلى والد ياسين كان بحالة لا يرثى لها وكأن ظهره قد انكسر فجأة

: ايه الي الدكتور قاله ده يا زين معقول ياسين يجيله كل ده ومخدرات ايه الي بيقول عليها دي؟!

: متفكرش في أي حاجة دلوقتي يا عمي غير أنك تدعيله أي حاجة تانية نتكلم فيها بعدين

: يااااارب ..... ابني يااااارب

***

بمنتصف الليل ...

يبحث عنها بكل مكان لا أثر لها أين ذهبت هذه؟ انتابه القلق

ليلى أين أنتِ؟؟

انتبه لرنين هاتفه برقم غريب

: الو

: استاذ كريم

: ايوا مين؟

: أنا فتون أخت حياة

دق قلبه سريعا بخوف

: اه .... أهلا خير حياة كويسة؟

: حياة مرجعتش البيت لحد دلوقتي واحنا كلنا خايفين عليها

: نعم يعني.....

قطع كلماته كأنه تذكر شيئا

ليلى ليست بالبيت

وحياة كذلك

أيعقل أن.....!!!

لا لا مستحيل لن تصل بوالده درجه الشر إلى هذا الحد

: أستاذ كريم ..... كريم .... انت روحت فين؟؟

خرج من شروده على صوتها

: فتون اسمعي كويس هدي كل اللي عندك وأنا جايلكم حالا

: أختي فين يا كريم!؟

قالتها بدموع و قد استشعر قلبها أن شيئا سيئا بالفعل قد حدث

: أنا هاجي وافهمكم كل حاجة

أغلق معها الخط سريعا فهو غير مستعد للحديث وتقديم أي تبريرات الآن فالواقع يقول إن حياة مخطوفة الآن وبسببه هو

ركض للخارج سريعا ليجد أن هناك سيارة قد توقفت أمام المنزل وهبط منها كمال ومعه شخص ما، اتجه إليه وعلامات الشر جميعها على وجهه

: الحق يا عمي بابا خطف ليلى وحياة

: وخطف ابني كمان

: ابنك!!

نظر له كمال بشر

: اسمع يا كريم أنا الحاجة الوحيدة اللي كان ممكن تشفع لأبوك عندي هي إنك ابنه ..... لكن لحد ابني فا انا الي يمس شعرة واحدة بس منه همحيه من على وش الأرض

نكّس كريم رأسه أرضا خجلا منه

نعم معه حق بل معه كل الحق

سيغفر له الآن إن انقض على عنقه انتقاما لابنه

رفع رأسه أخيرا بانكسار

: عندك حق يا عمي و..... ولو عايز تاخد حقك مني أنا خده وهيبقى معاك حق

: لا يا ابني انت ملكش ذنب أن ابوك واحد شيطان .... حق ابني أنا هاخده منه هو وانا عيني في عينه مش زي ما هو عمل

تحدث خالد أخيرا

: المهم دلوقتي يا جماعة نعرف هو ممكن يخبي عمر فين؟

******

: سيبيني يا فتون اوعي

: يا بابا استني بس رايح فين؟؟

: هدور على أختك مش راجع غير بيها ... وحسابي معاكم بعدين

قالها عبد الله بغضب وهو ينظر بشفقة لزوجته التي انفطر قلبها من كثرة البكاء خوفا على ابنتها، هم بفتح الباب ليقابله ذلك الشاب بالطبع يذكره جيدا

: استني يا عمي

انقض عليه عبد الله بغضب

: انت ... انت الي ضيعت بنتي وديتها فين انطق

حاول كمال تهدئته فهو مثله الآن يشعر بنفس الخوف على ابنه

: اهدا يا حج احنا عارفين هي فين

: أهدا ايه!! ..... بنتي اختفت وتقولي اهدا

: مش بس بنتك اللي اختفت أنا كمان ابني اتخطف معاها

: اتخطفت!!

قالتها راقية بصدمة

: ارجوك يا عمي اسمعني بس لحظة ..... أوعدك أن حياة هترجعلك سليمة وبخير حتى لو هضحي بروحي عشانها وساعتها .....ساعتها أوعدك إني هبعد عنها وأخرج من حياتها خالص زي ما انت عاوز

لم يستطع عبد الله الصمود أكثر من ذلك انهار على أقرب مقعد على الرغم من ادعائه القوة والصلابة إلا أن عينيه لم تستطيع الكذب أكثر من ذلك لتخونه بعض الدموع الحبيسة وانهمرت على خديه

اقترب منه كمال

: اهدا يا راجل يا طيب والله عيالنا هيرجعوا بخير الواد كريم ده راجل بجد وهيوفي بوعده

اقترب كريم من والدة حياة ليركع أمامها باعتذار

: أنا آسف كل اللي حصل بسببي انا

: أنا واثقة فيك يا ابني ومتأكدة إنك هترجع بنتي سليمة ..... أنا شايفة خوفك عليها في عينيك

قالتها راقية بثقة أسعدت قلبه وعلى الرغم من ذلك جعلته يخشى ألا يكون على ذلك القدر من الثقة

اكتفى بابتسامة أسكنت الطمأنينة قلبها أما قلبه هو فكان خائفا من أن يجرح قلب تلك الطيبة

كان خالد يقف بأحد الأركان يكتفي بالمشاهدة حتى وقعت عيناه على تلك السمراء الحزينة كشعاع شمس اخترق قلبه فأنعش روحه

ما هذا أجننت يا خالد؟!

هل ترى الوقت المناسب لتلك السخافات!؟

ركز باختفاء صديقك الآن

لحظه ولكن هل الحب سخافات!!

{الفصل الثالث عشر}

الخوف المرض الموت ثلاثتهم سواء يعلمون الإنسان المعنى الأصلي للحياة وأنها ليست سوى مركب ورق صغير تائه وسط المحيط غارق لا محالة

لا شيء حولها سوى الظلام أدركت الآن أنها مقيدة وذلك الشيء على عينيها يحجب عنها الرؤية لحظة أذناها تلتقط صوت أنفاس يبدو أنها أنفاس أكثر من شخص إذن هي ليست وحدها هنا ربما يبعث ذلك بعض الطمأنينة بداخلها جيد أنهم لم يكمموا فمها هتفت بصوت عالٍ نسبيا

: حد هنا؟ ... أنا فين؟ ..... انتوا مين؟

لم تجد غير الصمت بدأ جسدها يرتعش خوفا

ثواني وبدأت تستمع لصوت أقدام تقترب منها!!

انتبهت جميع حواسها لتلك الأصوات

ثم جاءها صوت تعرفة جيدا

: فكوا عيونهم

أزالوا تلك العصابة عن أعينها فكان أول من رأته هو عمها العزيز يجلس بأريحية أمامها على كرسي كان

المكان مهجورا تماما لا شيء حولها سوى الغبار وأصوات الفئران نظرت بجانب عينها حولها

يا إلهي ما هذا !!

عمر وحياة مقيدين بجانبها مثلها تماما يبدو أنهم في حالة إغماء

يبدو أن قربها ممن تحبهم لم يجلب لهم سوى الضرر

: فوقوهم

قالها بأمر ليأتي رجلان من الخلف بجردلي مياه ليسكباهما فوق رأسهما فاق كل منهما فزعا استغرق الأمر ثواني ليدرك كل منهما أنهما في خطر

: حمد الله على السلامة يا ترى الرحلة كانت مريحة

حاول عمر فك تلك القيود بغضب ليخبره عزيز ببرود

: متحاولش متتعبش نفسك مش هيتفك

: سيبهم ..... هما ملهمش ذنب وخد الفلوس اللي انت عايزها أنا مش عايزة حاجة بس خليهم يمشوا

قالتها ليلى بارتياع لتصدع منه ضحكة عالية بسخرية

: لا أنا كدا كدا هاخد الفلوس لأنها حقي سوا بمزاجك أو غصب عنك .....بس انتى بقا الي لازم تختفي من الدنيا كلها

: ليه .... ليه الكره ده كله أنا عملت ايه؟!

: مش انتى ... انتى كل ذنبك بس أنك بنت عاصم .... عاصم أخويا الي كان طول العمر بيحسسني أنه أحسن مني إني خدام عنده كان دائما أي مكان عاصم هو الباشا الناجح المحبوب وانااااا ..... أنا صفر على الشمال هو ابن الست الغنية الي ابويا اتجوزها على أمي وماتت بحسرتها على جوزها اللي عاشت عمرها كله تحت رجله دايما كنت بشوف أبويا بيعامله أحسن مني هو كل أوامره مجابة وأنا .... أنا ليا الفتافيت البواقي كان لازم آخد منه كل حاجة حتى عمره

: دي كلها أسباب بتوهم نفسك بيها عشان تبرر لنفسك الي بتعمله

قالتها ليلى باشمئزاز ليتبعها عمر

: ايه الحقد والكره ده يا أخي طب ده ابوك وانت بتكرهه بسبب معاملته.... أخوك وبنته ذنبهم ايه!؟

قالها عمر لينظر له عزيز بشر

: وأنا ... أنا كان ذنبي ايه ابويا يكرهني ليه يديله هو كل حاجة ليه؟؟

: كرهك ليه هو اللي مخليك تشوف الحكاية كدة لكن لو.....

قالتها حياة ليقاطعها بغضب

: مش وقت محاضراتك يا دكتورة كمان أنا مش جاي أرغي معاكم أنا جاي بس أقولكم تترحموا على نفسكم لأن قريب أوي هبعتلكم تذكرة ذهاب بلا عودة

قالها وأعطاهم ظهره ليهم بالانصراف ليوقفه صوت عمر بثقة وتصميم

: لا التذكرة دي هتكون ليك انت لما تتمرجح على حبل المشنقة

توقف عزيز ولف ليتقدم إلى عمر نظر بعينيه بثقة مقابلة ليردف عمر

: فكني وواجهني خليك راجل ولو مرة في حياتك

لكمه عزيز بغل لكمة قوية أظهرت خط من الدماء بجانب فمه

: فعلا ابن كمال

قالها ثم انصرف

***

بالصباح الجميع يعمل كخلية نحل داخل المصنع من تعبئة وتغليف وجمع تلك السموم

اقتحم كمال المكتب مع كريم بغضب

: ابني فين؟

تصنع عزيز الجهل ونظر له بتعجب

: ابنك! وانا مالي بقا ومال ابنك؟

: بقولك ايه يا عزيز ما تيجى نلعب على المكشوف قولي ابني فين وانا أضمن لك الحماية

صدعت ضحكته بسخرية

: حماية .... ضحكتني والله أنا بقول توفر الحماية دي ليك هتحتاجها قريب

: اقسم بالله يا عزيز لو شعرة واحدة اتلمست من ابني لأخليك تتمني الموت عن الي هتشوفة على ايدي

: وانت يا كريم مش عايز تقول حاجه انت كمان؟

: بابا أنا عارف كل حاجة وعارف إنك خطفت ليلى وحياة .... بس أرجوك يا بابا حياة ملهاش ذنب هي أصلا متعرفش عنك حاجة

نظر لابنه بصمت خارجي لكن داخله كان غاضبا من تلك النظرة التي يراها بعين ابنه يعلمها جيدا نفس النظرة التي كان ينظر بها إلى أبيه كانت تحمل معنى واحدا فقط "الخذلان"

ساد الصمت لحظات حتى قطعه عزيز

: طيب طالما كل حاجة بقت مكشوفة خليني بقى أقول الي عندي اه أنا اللي خطفتهم بس محدش يقلق أنا مش عايز غير ليلى الباقيين مش مهمين بالنسبالي بس مش هسيبهم غير لما أنفذ الي في دماغي

: شحنة السموم صح

قالها كمال بسخرية ليصفق له عزيز

: برافو ..... مش مفاجأة بالنسبالي الحقيقة أنك تبقى عارف بس لو جدع بقى وقفني

: حية يا عزيز حية

: شهادة أعتز بيها ..... اه صحيح وابقى اقرا الفاتحة على روح البنت دي اللي كنت زارعها في البيت ابقى اختار صح الناس اللي تساعدك دي كانت غبية أوي

انصدم كمال من بجاحة وكم الشر بهذا الرجل كما فقد كريم الأمل في أن يتغير أبوه قبل فوات الأوان ليتركوه جميعا وانصرفوا بغضب ليلوح لهم عزيز ببرود!!

***

اتجه زين إلى غرفة ياسين ليجد والده يجلس بالخارج يقرأ بعض آيات القرآن

: عمي

: زين ازيك يا حبيبي

: بخير يا عمي ... ايه أخبار ياسين؟

: زي ما هو.. الدكاترة بتقول مفيش جديد، نسبة المخدرات اللي كانت في جسمه كانت كبيرة لدرجه انه كان ممكن .....

لم يستطع تمالك نفسه لتنهمر دموعه على وجنتيه

: اهدا يا عمي إن شاء الله هيقوم ويبقى أحسن من الأول ياسين قوي وقدها

: أنا السبب يا زين..... أنا السبب طول عمري كنت بعمله اللي هو عايزه عمري ما قولتله على حاجة لا، وادي النتيجة ياسين ضاع

: لا يا عمي لا... ياسين هيقوم وقريب كمان أنا حاسس بكدا... وهيقوم شخص جديد غير الي كان عليه يمكن الحادثة دي تكون درس قاسي شوية ليه

رفع والده نظره لأعلي يدعو الله بداخله أن يتحقق هذا الإحساس

***

مجتمعين حول كمال في جو من التوتر

: أكيد المكان الي هيسلم فيه المخدرات هو أكتر مكان يقدر يخبيهم فيه

قالها كمال بحذر ليجيبه كريم بيأس

: المكان .....ايه هو بقا المكان؟؟

: اهدا يا كريم اليأس مش هيوصلنا لحاجة

قالها خالد ليتذكر كريم نظرة والدة حياة محاولة منه لعدم الاستسلام

: خالد عنده حق يا كريم احنا مش عايزين نسيب اليأس يتمكن مننا خلي عندك أمل في ربنا كبير إننا إن شاء الله هنقدر نعرف مكانهم ويكونوا بخير

قطع حديثه رنين هاتفه ما إن رأي اسم المتصل حتى أجاب سريعا

: الو

: ايوه يا كمال بيه

: أرجوك قولي أخبار حلوة

: عرفت المكان

: قولي بسرعة

: بعد يومين الساعة ٦ في (.....)

: انت متأكد؟

: عيب عليك يا باشا انت ناسي أنا مين

: برافو عليك يا سيادة المقدم عمرك ما خذلتني

اغلق معه الخط وهو بقمة سعادته لينظر لهم بانتصار!!

: استعدوا

***

الساعة السادسة وأمام ذلك المخزن المهجور يقف عزيز وخلفه حاتم بانتظار تسليم شحنة السموم ثواني وتوقفت

أمامهم سيارة سوداء فخمة هبط منها رجل يبدو عليه أنه بالعقد الخامس من العمر و أخرى نفس النوع هبط منها أربعة رجال مفتولي العضلات ببدل سوداء صافح ذلك الرجل عزيز واطمأن على الشحنة بينما اطمأن عزيز على حقائب الأموال ثواني فقط وتدخلت رجال الشرطة وبدأ تبادل النيران

بالداخل بدأت ليلى وحياة بالصراخ بينما حاول عمر فك تلك القيود ونجح في ذلك تسلل خالد وكريم للداخل حاولوا فك قيود الفتيات

بالخارج أصيب حاتم بطلقه في الرأس بينما رجال الشرطة بالخارج تتبادل النيران مع هؤلاء المجرمين ليركض عزيز داخل المخزن وخلفه كمال ثواني وصل بها عزيز إلى ليلى ليوجه السلاح إلى رأسها تحت أعين الخوف من الجميع وخاصة ليلى التي شعرت أن نهايتها أصبحت وشيكة لا محالة

: عزيز فكر في اللي ممكن يحصلك انت كدا بتودي نفسك في داهية

قالها كمال بحذر

: مانا كدا كدا رايح في داهية ... بس مش هخليكم تتهنوا أبدا

حاول عمر التقرب منه لكن عزيز كان أسرع ليوجه له طلقة اخترقت زراعه

: عمررر

صرخ بها كل من كمال وخالد

بينما صرخ كريم بوجه أبيه

: بس بقا يا بابا كفاية أرجوك وقف الي بتعلمه ده

: أوقف .... بعد ايه خلاص مبقاش ينفع كل حاجة راحت كل حاجة خططت ليها باظت .... حتي انت روحت مني وبقيت تكرهني مش كدا يا كريم؟؟

: سيبها يا بابا سيبها أرجوك

: انطق بقيت تكرهني مش كدا ... بقيت تستعر مني صح؟؟

قالها بصراخ لتدخل فجأة بعض رجال الشرطة ليوجه إليهم عزيز بعض الطلقات لم ينتبه أنه وجه السلاح إلى ابنه لتخترق إحدي الرصاصات صدر كريم

صرخة قويه خرجت من حياة وليلى

تقدم رجال الشرطة للقبض على عزيز الواقف بحالة صدمة ينظر لابنه الراقد بالأرض غارقا بدمائه

***

يجلس عمر على السرير بإرهاق وقد علق زراعه الأيسر بحامل طبي يجلس بجانبه خالد وكمال

: حمد الله على السلامة يا حبيبي

: الله يسلمك يا بابا

: حمد الله على السلامة يا بطل

قالها خالد وهو يضربه على زراعه المصاب لتصدر منه تأوه

: اااه ..... اطلع برا يا حيوان

: اسف اسف من فرحتي بيك وانت قايم بالسلامة

: فرحان بيا ولا فيا

أصدر خالد ضحكة سخرية

قاطعها عمر بسؤاله عن كريم

: ربنا يقومه بالسلامة الولد ده كل مرة بيكبر في نظري

بالخارج كانت حياة غارقة بين دموعها ونحيبها

هل حقا يمكن أن تفقد كريم؟؟

لا ..... لا تستطيع مجرد تخيل أنه يمكن أن يرحل عنها للأبد

يعني أنها لن تراه ولو حتى من بعيد تطمئن فقط أنه بخير

تقف ليلى بحالة صدمة كل ما حولها الآن يحدث بسببها أشخاص تأذوا فقط لأنهم حاولوا مساعدتها وبالأخير كان جزاؤهم هذا

يظهر من بعيد أهل حياة يركضون نحوها ما إن رأتهم حتى انهارت بين أحضان أمها

: الحمد لله يا بنتي إنك بخير الحمد لله

قالتها راقية ليخرج الطبيب بعدها يظهر عليه الإرهاق

: الحالة كانت صعبة ولحقناه في آخر لحظة الرصاصة كانت قريبة قوي من القلب

: أرجوك يا دكتور عايزة أشوفه

قالتها حياة بخوف

: مينفعش دلوقتي هو هيخرج على العناية المركزة بعد شويه ... عن اذنكم

في تلك اللحظة كان قد خرج كمال مع عمر وخالد بعد إصرار عمر للذهاب إلى كريم استمعا لكلام الطبيب

اقتربت ليلى من عمر لتسأله

: أنت بخير؟؟

أسند رأسه على الحائط بإرهاق ليهز رأسه بنعم

كانت تحتضن فتون شقيقتها تحت أنظار خالد ليحدث نفسه

: تعالي يا أم خالد شوفي البنات مش جعفر بنت اختك

***

مرت عدة أيام تحسنت بها حالة كريم قليلا

طلبت ليلى مقابلة عزيز داخل السجن ساعدها كمال في ذلك على الرغم من أنه أظهر عدم موافقته على تلك الزيارة لكن تحت إلحاحها الشديد رضخ أخيرا لطلبها

: انتي اتجننتي يا ليلى عايزة تروحي ليه برجلك!!

: ايوه يا عمي عايزة أواجهه أوريه أنه خسر وأنا اللي انتصرت في الآخر

: مش خايفة؟؟

: انا شيلت الكلمة دي من قاموس حياتي خلاص

: اتغيرتي

كانت كلمته أقرب للسؤال لتنظر له بقوة

: كتير ..... أولهم إني بقيت أقوى

***

تجلس بالغرفة الخاصة بالزيارات داخل السجن لن تنكر خوفها من تلك المواجهة لكن سبب إصرارها هو أن تثبت لنفسها أنها أصبحت أقوى من قبل لم تعد تلك القطة الصغيرة الخائفة التي تختبئ من الجميع بل أصبحت ذلك الأسد الذي يزأر حتى يصل إلى ما يريد

وجودها هنا الآن هو إثبات لنفسها على ذلك

ستواجهه ستقف أمامه وجها لوجه لا تخشى شيئا

هي صاحبة الحق وهو المغتصب

إذا لم الخوف؟!

انفتح الباب ليدخل هو بتلك البدلة البيضاء الخاصة بالسجن جلس أمامها

كعادته لم يتغير لا يظهر على ملامحه أي خوف

أظهرت القوة بملامحها

: جايه تشمتي فيا يا بنت اخويا

ابتسمت بسخرية

: غريبه انت لسه فاكر إني بنت اخوك... ده أنا نسيت إنك عمي

: جاية ليه يا ليلى؟

: جاية أوريك نفسك ... أوريك طمعك وجشعك وصلك لايه

وقف بغضب وضرب الطاولة أمامهم بقوة

: اوعي تفتكري انكم كدا خلاص خلصتم مني لا ده أنا هرجع وهرجع أقوى من الأول مش أنا اللي انهزم أبدا فاهمة

: انت فعلا إنسان مريض

: المريض ده خلاكم تعيشوا في رعب وخوف لشهور

: وفي الآخر ايه ... بالبدلة البيضا واستعد عشان هتتحول حمرا قريب

: ايه دا .. غريبة القطة الخرسا طلع لها لسان

: البركة فيك

: صدقيني مش دايما الخير بينتصر

: انت واخد بالك انت فين ... بص حواليك ده سجن وانت محبوس جواه اصحى

: هخرج وهوريكم

: ورينا شطارتك

: برا ..... برااااا ..... اطلعي برااااا

صرخ بها بقوه لتخرج سريعا من أمامه ويعود مرة أخرى إلى زنزانته

لن تنكر أن حديثه معها بتلك الثقة أقلقها

: حصل ايه؟

قالها كمال بعد أن جلست بجانبه داخل السيارة

: أنا مش مرتاحة

: ليه؟

: ده اتكلم بثقة أوي كأنه واثق أنه هيخرج

: طبيعي مش عايز يبان ضعيف قدامك بس متقلقيش هخليهم يفتحوا عينهم عليه

:ياريت

:تعرفي أنهم قالولي أنه طلب منهم يطمن على كريم .....
رغم حقارة البني آدم ده إلا إن مفيش إنسان مش عنده نقطة ضعف

قالها وانطلق بعدها بسيارته

{الفصل الأخير}

اصمت أيها القلب الخائن لو كنت بين يدي الآن لأخرست نبضاتك المزعجة تلك، ألم أخبرك أنني قد دفنت مشاعري بيدي منذ وقت قريب؟

تجلس بجانبه منذ وقت طويل تنتظر أن يستيقظ تود فقط أن تتأكد أنه بخير اشتاقت له كثيرا أيام مرت وهو بالعناية مرت عليها كسنوات من العذاب

حقا لم تكن تعلم أنها تحبه إلى هذه الدرجة!!

بدأ يحرك رأسه بألم فتح عينيه تدريجيا كان وجهها أول شيء تقابله عيناه

: حياة

قالها بألم

: كريم حمد الله على السلامة حاسس بايه؟ تحب أجيب الدكتور؟

: أنا كويس متشكر أوي

ساد الصمت لحظات حتى كسرته هي

: أنا ... أنا خفت عليك

: أنا اسف ... بس متقلقيش من هنا ورايح مش هتقلقي أبدا

: كريم أنا ....

: من فضلك يا حياة ممكن تسيبيني عايز ارتاح

: بس انا مقدرش اسيبك لوحدك

: انتي مش مضطره تفضلي جنبي عشان تردى الجميل

رد جميل!!

ما هذا الهراء منذ متى وعلاقتهم تحمل تلك المعاني

كيف يفكر هو في ذلك من الأساس!!

: كريم انت بتقول ايه أنا.....

: أنا بقول الي انتى عايزة تقوليه ومش قادرة عشان خايفة إنى ازعل .... انتى مش عايزة تفضلي جنب واحد أبوه مجرم وقاتل ... امشي يا حياة امشي وصدقيني أنا هعذرك

اتسعت عيناها بصدمة تود أن تصرخ بوجهه تود لو تكسر رأسه تلك التي تفكر بطريقة حمقاء مثله

كيف لم ير نظرة الخوف بعينيها؟!

كيف لم يعلم أنها أصبحت تحسب الدقائق والثواني من عمرها منذ أن قابلته؟!

كيف لم يشعر بدقات قلبها العالية منذ أن عاد إلي الحياة؟!

ماذا يظن؟

هل يظن أنني سأتسول الحب منه؟! لا وألف لا

لن اسمح لقلبي بتلك الإهانة

حسنا سأرحل وإلى الأبد

حملت حقيبتها لتجيبه قبل أن تخرج

: فعلا أنت عندك حق.... أنا كنت معاك لحد آخر لحظة لكن لحد هنا وكفاية

قالتها ثم انصرفت

بلا دموع

أو انهيار...

ربما خذلان

***

تجلس فتون بالأسفل منتظرة حياة رآها زين وهو متجه كعادته لرؤية ياسين

أخبره الأطباء أن حالته كما هي لا جديد

شك زين أنها ربما علمت بما حدث له فجاءت لرؤيته اقترب منها بحذر

: مساء الخير

رفعت عينيها إليه بتعجب

: أهلا

حسنا يبدو أنها لم تتذكره

: أنا زين صاحب ياسين معاكي في الجامعة

ظهر الضيق على وجهها دون رد

: هو انتى جاية تشوفي ياسين؟

: افندم!!

حسنا يبدو أنها لم تعلم

شعر بالحرج لكن لينظر إلى النصف الممتلئ من الكوب تلك فرصة جيدة ليتحدث معها ويصرح عما بداخله تجاهها

نعم لن ينكر مشاعر الإعجاب بداخله تجاهها

: اسمحيلي أقعد؟

: اتفضل

: ياسين من فترة عمل حادثة كبيرة أوي بالعربية ودخل في غيبوبة الله اعلم هيفوق امتى الدكاترة نفسهم مش عارفين هو محجوز هنا في المستشفى عشان كدا لما شوفتك قولت ممكن تكوني عرفتي وجاية تشوفيه

: ايه؟! ... لا حول ولا قوه الا بالله ....لا جاية أزور حد تاني

ساد الصمت لحظات ثم كسره هو

: أنا عارف أنه مش وقته بس ممكن أتكلم معاكي؟

: اتفضل

: بصراحة ومن غير كلام كتير أنا معجب

: است....

: قبل ما تقولي أي حاجه أنا مش زي ياسين أنا عارف الي عمله معاكي بس صدقيني أنا مش زيه

: من ناحية مش زيه فا دي أنا اخدت بالي منها أما مشاعرك ناحيتي فا دي أنا بشكرك عليها وبقدرها لكن.....

: في حد في حياتك؟

: لا

: أمال؟!

: مش وقته خالص أنا حاليا مش مستعدة لده .. فاهمني؟

نظرت له بابتسامة بسيطة وهمت بالرحيل لكنه أوقفها

: فتون

نظرت له باستفهام ليردف

: أنا عارف ان الي عمله ياسين معاكي مش هيشفع له بده عندك لكن ... ممكن تسامحيه يمكن تحصل معجزة ويفوق

تسامحه!!

بالتأكيد ستفعل هي ليست مثله

هو الآن إنسان لا حول له ولا قوه

ستسامحه وستتمني له الشفاء أيضا عسى أن يكون ما حدث له درسا قاسيا يعيده شخصا آخر

: أكيد سامحته وأتمني أنه يقوم بخير

قالتها وتركته وحده مع خيبة أمله

لم تدرك هي تلك الأعين التي كانت تراقبها منذ فترة كان ذاهبا لزيارة كريم ليراها مع هذا الفتى

من يكون هل هو حبيبها يا ترى؟؟

قابلها وهي تصعد السلالم

: ازيك

: أهلا.. أستاذ .....

: خالد مهو الي حصل خلاكي متعرفيش اسمي

: فعلا أهلا بيك

: انتي طالعة لكريم؟

: ايوه حياة فوق

: حمد الله على سلامتها

: متشكرة أوي

كانا قد اقتربا من غرفة كريم لينفتح الباب سريعا وتظهر حياة وهي تركض نادتها فتون أكثر من مرة دون رد لتركض هي وراءها بعد أن استأذنت منه

دخل هو لكريم

: هببت ايه يا منيل ده انت لسه فايق!؟

***

تقدم زين ناحية غرفة ياسين ليجد والده يركض ناحيته بفرحة

: زين .... ياسين فاق يا زين ...الحمدلله يا رب

***

: يا ابني قول حمد الله على السلامة الأول

: حمد الله على سلامتك يا سيدي

: الله يسلمك ... عمر أخباره ايه

: كويس الحمدلله هو جاي في الطريق مع عمو كمال وليلى

ساد الصمت لحظات قطعه خالد

: كانت خايفة عليك أوي على فكرة

قالها بنظرة ذات مغزى فهمها هو ثم وجه نظره للجهة الأخرى بشرود

طرقات على الباب أطل منه بعدها كمال مع ليلى وعمر الذي ما زال واضعا يده بذلك الحامل الطبي

ركضت ليلى ناحيته بفرحة

: كريم الحمد لله ... حمد الله علي سلامتك ... وحشتني اوي

: حمد الله على سلامتك انتى

: شكرا على كل اللي عملته عشاني

: أنا عملت الي كان لازم يتعمل يا ليلى

: حمد الله على سلامتك يا بطل

قالها كمال بحب

: الله يسلمك يا عمي ... عامل ايه دلوقتي يا عمر

: بخير الحمد لله جت سليمة

: حياة فين؟؟

قالتها ليلى لينظر خالد وكريم كل منهما للآخر

: حياة بعدت للأبد

قالها كريم بشرود بتعقد ليلى حاجبيها بتساؤل

: يعني ايه؟!

: مستحيل أخليها تربط حياتها بواحد أبوه مجرم لا وكمان اتخطفت بسببه

: كريم يا حبيبي انت عبيط؟

: ايه!!

: لا انت شكلك بتخرف من البنج صح

: ليلى انا مش بهزر

: لا الي انت بتقوله ده هزار لأن المفروض إنك عارف حياة اكتر مني وعارف أنها مستحيل تفكر كدا

: ليلى عندها حق يا ابني البنت بتحبك وكانت هتموت من الخوف عليك وانت في العمليات

قالها كمال

: ويا تري بقا هي هتنسي اللي أبويا عمله فيها ولو نسيت أهلها هينسوا إن أنا ابن الراجل ده

أردف بعدها كمال بتفهم

: أهلها ناس طيبين وأكيد شافوا انت عملت ايه عشانها واتأكدوا إنك بتحبها

***

يوم النطق بالحكم يجلس الجميع بقاعة المحكمة

لم يُزل خالد عينيه عن فتون كما لم يفعل كريم

بدأت الجلسة لينادي الحاجب على رقم القضية لم تستمر الجلسة طويلا

وعندما جاءت لحظه النطق بالحكم استعد الجميع لسماع القاضي

(حكمت المحكمة حضوريا وبإجماع الآراء على المتهم عزيز سعد الأسيوطي وشهرته عزيز الاسيوطي بالسجن المشدد خمسة عشر عاما مع الشغل والنفاذ)

ساد الصمت المكان

تقابلت أعين كريم بأعين والده، تقابلت مشاعر الندم مع خيبة الأمل

هل حقا تلك النظرة التي بعينيك الآن يا أبي هي الاعتذار أم الوداع

أم كلاهما؟!

يرى العساكر وهم يسحبونه للداخل لم يستطع التحمل سمح لقدميه أن تركض ناحيته ارتمى بأحضان والده يبكي كما لم يبك من قبل اكتفى عزيز باحتضانه فقط ثم رحل

رحل للأبد

***

مرت عدة أيام تغير بها الكثير انتقلت الوصاية من عزيز إلى كمال وبدأت حياة في دراسة الصيدلة حتى تستطيع إكمال ما بدأه والدها وحتى لا تشعر أن ما أفنى به عمره قد راح هدرا

تجلس بحديقة المنزل منتظرة كريم فقد أخبرها أنه يريدها بشيء هام لكنها رأت عمر قادما من بعيد

: يا صباح اللي بتغني

: عمر انت متأكد أنك كنت عايش في ألمانيا

: هو انا مش متأكد أوي هي كانت المانيا ولا المنيا

: أنا قولت كده بردو ... ايه الي جابك؟

: ايه قلة الأدب دي طب قولي نورتنا شرفتنا تشرب ايه .... ايه مفيش دم خالص

: انجز

: يا ساتر قاعد مع عم برعي الفراش ..... كريم يا ستي اللي بعتلي قالي آجي عشان عايزني في موضوع مهم

: ايه ده وأنا كمان

: أنا عارف على فكرة

: بجد ايه هو؟

: قوليلي لو سمحت يا عموري

: أقول ايه يا خويا؟ عموري!! .... ما تنشف يلا

: يا ساتر يارب فين يا بنتي الرقة بتاعة البنات

: لا متلاقيش عندي الكلام ده اخلص ايه الموضوع؟

: حاضر يا عم برعي اسمع يا سيدى

***

كالعادة تسبح مع أنغامها بعالم لا يوجد به غيرها هي وتلك الآلة كانت تعزف رائعة بيتهوفن السيمفونية التاسعة

ظلت تعزف طوال ساعتين دون ملل شعرت بصوت إقدام تقترب منها ظنت أنه العامل كالعادة سيخبرها أنه يجب أن يرحل لكنها عندما نظرت حولها كانت المفاجأة.

كريم يقف أمامها بجانب والدها ووالدتها ومعهم الجميع

دون مقدمات وجدته يركع أمامها بحركة رومانسية وبيده علبة قطيفة

: أنا آسف .... آسف على كل تصرف غبي عملته آسف على كل شعور خوف حسيتيه بسببي آسف على كل دمعة نزلت من عينك وأنا بعيد ... حياة أنا بحبك تتجوزيني؟؟

اه يا إلهي أخيرا

كم كانت تحلم بتلك اللحظة

لا بل هي أجمل مما كانت تحلم به

لم تجبه بل وبدون وعي ارتمت بأحضانه تفاجأ هو كما تفاجأ الجميع

نظر كريم لوالدها بخجل

: طبعا لو حلفتلك إنها أول مرة تعمل كدا مش هتصدق صح؟

انتبهت لما فعلت لتبتعد سريعا

وقف عمر بجانب ليلى التي كانت تطير من الفرحة لأجلهم أخيرا كريم حقا يستحق السعادة كما تستحقها حياة أيضا

: وانتي مش هتطلي بالأبيض زي زهرة النسيان بقا ولا ايه؟

قالها عمر بيأس

: لا هطل بالأسود زي زهرة البتنجان

: وماله أهي أي زهرة وخلاص

: انت عايز ايه؟

: سلامتك

: الله يسلمك

: استهبلي بقا

: يا ابني الحب والجواز ده مش في دماغي خالص في حاجات دلوقتي أهم بكتير

كاد أن يرد عليها لكنها تركته واقفا وحده ليقترب منه والده وهو يبتسم

: أحسن خليها تجننك

: فرحان فيا يا حج مكانش العشم

: يا حمار الي هي بتعمله ده يعرفك أنها بتحبك

: أمال بتعمل مع أمي كده ليه؟

: هتفهم لوحدك بعدين..... بص بص صاحبك بيعمل ايه أتعلم منه

نظر باتجاه خالد ليجده يتحدث مع فتون وهم يضحكون

: اضحك يا اخويا اضحك بيضالك في القفص يا ابن المحظوظة

***

يقترب العسكري من تلك الزنزانة لتتسع عيناه بصدمة وهو يرى عزيزا معلقا رقبته بذلك الحبل بسقف الغرفة وعلى الأرض يوجد كرسي خشب

ها قد أنهى عزيز حياته بتلك الطريقة المأساوية

لكن هل ستجعله تلك الطريقة يكفرعن ذنوبه أم أضاف لروحه ذنبا جديدا يحاسب عليه

صرخ العسكري على الجميع وفتح الغرفة ليحاول أن يلحقه ولكن بعد فوات الأوان وقد صعدت روحه إلى خالقها لتلقى حسابها

وعلي بعد مسافة قريبة من زنزانة عزيز يعلو صوت أحد المساجين وهو يدندن داخل زنزانته

: والله اتوصيت يا واصي وخربت البيت يا واصي

وربما في بعض الأحيان يكون من الجيد أن ينقطع ذلك الخيط الذي يربطك ببعض الأشخاص

تمت بحمد الله

٢٠٢٢/٣/٥

المحتويات

إهداء 3
{الفصل الاول} 5
{الفصل الثاني} 16
{الفصل الثالث} 29
{الفصل الرابع} 44
{الفصل الخامس} 55
{الفصل السادس} 69
{الفصل السابع} 82
{الفصل الثامن} 95
{الفصل التاسع} 107
{الفصل العاشر} 124
{الفصل الحادي عشر} 139
{الفصل الثاني عشر} 156
{الفصل الثالث عشر} 167
{الفصل الأخير} 183

خيوط ناعمة

علياء عصام دويدار

هي خيوط ناعمة تربطنا ببعضنا لبعض نتلاقى عند نهاية طرفها فاحذر أن تشد الخيط بكل قوة حتى لا تضيع بمنتصف الطريق.

تصميم الغلاف: مي محمد